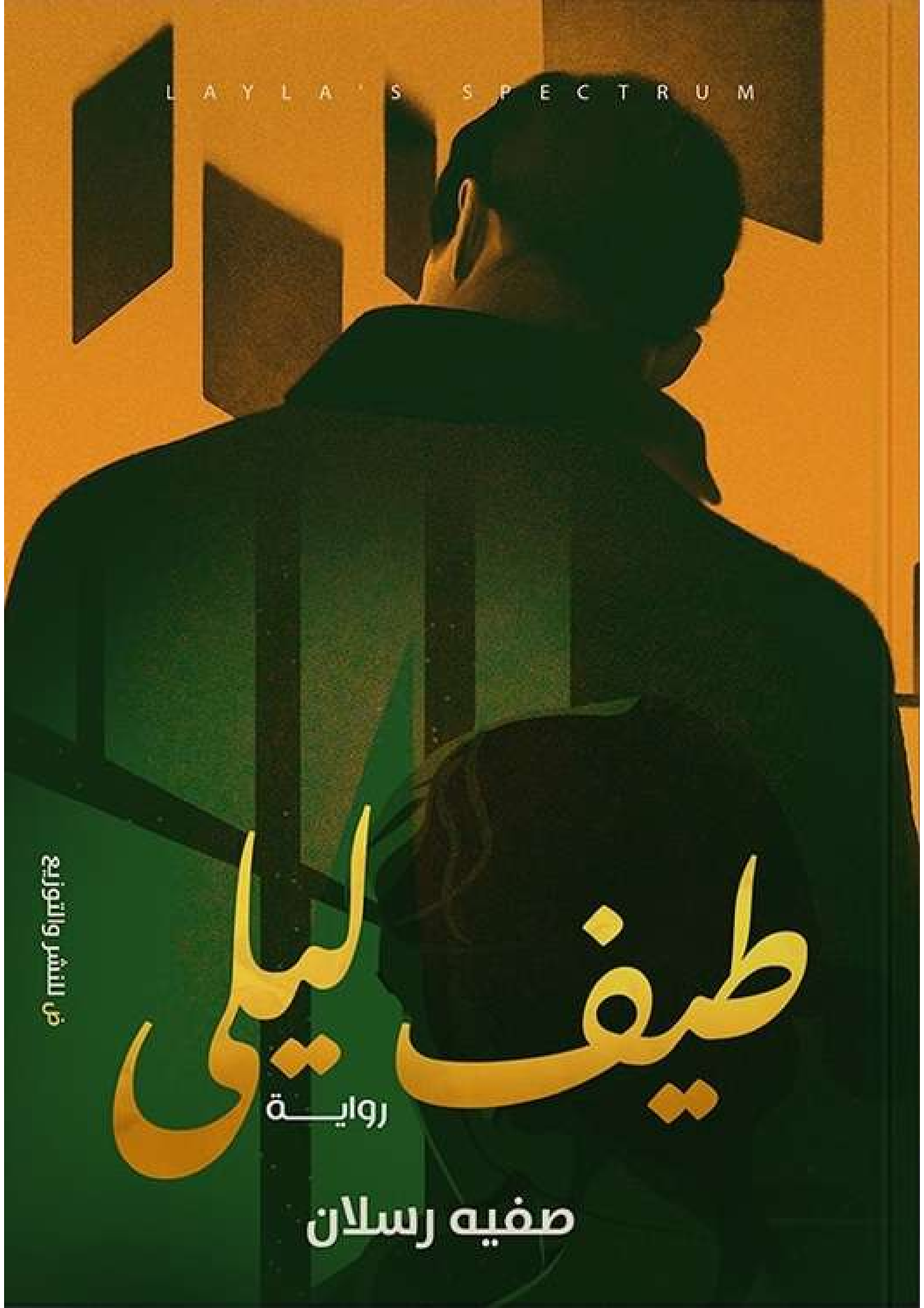
LAYLA'S SPECTRUM
طيف ليلى
رواية
صفيه رسلان

طيف ليلى

الكتاب: طيف ليلى.

المؤلف: صفية رسلان.

الغلاف: عبدالله أحمد.

رقم الإيداع: 2881

الترقيم الدولي: 978-977-6994-91-1

التدقيق الإملائي والإخراج الفني: CityBooks

المدير التنفيذي: مصطفى محمد سلامه

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز لأي صورة نشر، أو اقتباس، أو إعادة طبع أي جزء من الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو كان أو بأي طريقة سواء أكانت إلكترونية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر.

رواية

طيف ليلى

صفية رسلان

الإهداء..

إلى من علمني أن كوني تمنيت أن أخلق طائرًا وخلقت بشرًا هذا ليس سببًا كافيًا للاستسلام،

إلى من حلقت روحي معه وسكنت في كنفه،

إلي غصني الآمن ورائحتي المفضلة وأشيائي التي تمنيتها كلها في الماضي والحاضر حتى تلك التي نسيتها،

فما من شيء أعز على روحي منك ولا أغلى على قلبي من حبك.

تذكر دومًا يا عزيزي الروح تتوحد لا تنقسم أبدًا، كتبتها سابقًا لتكون لك أنت: "كن لي كل شيء أكن لك العالم"

- إلي "محمد فؤاد"

***

الورقة المفقودة!

وها هو الآن يحكي للجميع أنه قدم كل ما يملك، اراه الآن يبكي مثلهم على حالي، ويحاول التهدئة من روع هؤلاء الثلاثة الذين تبقوا لي.

أراه يشرح كم كان مثاليًا وكنت أنا من أصرت أن تصل لما أنا عليه.

وددت لو أعود لوعي الذي بدأ يزول تدريجيًا لأسأله سؤال واحد: هل لو اقتنع الجميع بكذبك وبما تقول، ستصدق أنت نفسك أيضًا؟

***

المقدمة

نحب السماء لأنها بلا قيود في حين أننا نحب الحب لشعور التملك والرغبة والغيرة ونستلذ بهم.

أهو التناقض الدائم للشخصية البشرية؟

رغم فزعنا من موج البحر وتقلباته إلا أنه يعطينا طاقة جيدة من حيث لا ندري.

يكفي أننا نذهب له بقطع أميال لكي نستمتع به بمليء إرادتنا.

أهذا يعني أننا نحب تأرجح الاحتمالات؟

حتى لو كنا نعلم أن مصيرنا هو التراب ستظل الاحتمالات كفيلة بتغير كل شيء.

أشخاص يدفنون فضولهم لمجرد خوف الانخراط.

وأشخاص يدفنون مشاعرهم لخوفهم من الخذلان.

وهناك أخرون مذبذبون بين الرغبة والحلم والكتمان.

نحن لا نهرب من العالم.

نحن نهرب من أنفسنا فقط!

سحقًا، كيف للحياة والقدر أن يعرفا ماهيتي وأنا التي أقرر أفعالي، لم أعلم؟

كيف لي أن أمرر تلك الأخبار على مسامعي بهذه البساطة؟

كنت فيما مضى أمتلك قوة الضحك والنسيان السحرية

حتى قدرة النوم الطبيعية باتت الآن سحرية بالنسبة لي

أصبحت أنسي لكن الألم يتراكم

أنا أحارب كل يوم من أجل ألا يزول بريق عيناي

من أجل ألا يبهت وجهي فيستجوبني أحدهم

من أجل أن أظهر أقل شحوبًا

لا أضع المساحيق لأتجمل كباقي الفتيات.

بل أضعها في محاولة عبثية لأصنع قناعًا لا مباليًا فقط

ما هذا السخف هل ستنتهي حياتي هكذا؟!

***

- ليلى؟ هل تناولتي الدواء هذا الصباح؟
- أجل لم أنسى، شكرًا لكي.

أطلت بكم الحديث بشعوري ونسيت أن أشرح من أكون

أنا اسفة فلا أجد من أثرثر معهم سوى الورقة والقلم

وأن كنتم تتساءلون عن من كانت تنادي

إنها رفيقتي المنزلية ولا اسميها خادمة أو حتى وصيفة

حقًا غنها رفيقتي هي وسمكتي جوني وببغائي مارتن؛

أنا ليلى، الفتاة ذات البشرة الملكية كما اسموني

ببشرة بين البيضاء والوردية، ذات شعر أسود كفرسة عربية أصيلة؛

يحوي تعرجًا في خصله كبقعة التلال التي اسكنها

ولطالما استغربت عيناي تلك التي تلمع بسواد قاتم في الليل وتتلون بالبني المصفر كأشعة الشمس صباحًا.

طولي؟

لم اقسه منذ زمن ولكن أظن أنه كان 170 سم.

كنت معتادة على أن استيقظ على صوت مرتفع وسرعان ما وضعت ببالي أن صوت صراخ أبي وأمي هو منبهي الصباحي.

وأن استيقظت على صوت منبه الهاتف يومًا أكون فزعة واتفقدهم بهلع!؛

كان سري الصغير منزل الشجرة التي تقبع خلف منزل في أعلى التلة المجاورة، وكانت السناجب صديقتي.

عشقت البندق وكنت اقشره ومن ثم أركض مثلهم وأسقط بمرح رغم أنها كانت في بعض الاحيان مؤلمة.

ولكني أدركت مؤخرًا أن ألم الروح الذي لا يحكى ولا تشفيه الأدوية والضمادات ولا ينسينا إياه الزمن.

هو ما يطلق عليه ألم، إما ما دونه فهو جرح والجرح يندمل بمرور الوقت.

حُسْنَى صديقتي المقعدة؛ فتاة شقراء ببشرة خمرية ولا أعرف كيف.

كانت أمي تقول لي أنه حتمًا قد وقع على راسها حبر أصفر وكنت أجزم أنه بيض فراخها من العش لأنني طالما كنت أجدها تتحدث إليهم؛

ولطالما تعجبت كيف تتحدث إلى حيوان لا يفهم ولا ينطق

والآن ها أنا اتحدث إلى مارتن وجوني دومًا.

فأدركت أن الانسان يصل إلى مرحلة عجز داخلية لا تمكنه من تنسيق كلامه وإلى مرحلة فقدان ثقة تجعله يكره البشر.

فيلجأ إلى الجماد والحيوان ليتكلم، فحتى مشاركة الصمت وتلك العبرة التي تسقط بعد مكابرة تعني الكثير.

وأدركت أن هذا هو سبب تعلقي بمارتن وجوني وحتى بدميتي سنجوبه؛

كانت عينا حُسْنَى تحوي زرقة السماء وصفاءها وألمها في آن واحد

كان يخيل لكل من ينظر إليها أن ملامحها تنافس اللؤلؤة في لمعانها وبريقها

وأن عينيها تحكيان حربًا أشد قساوة من الحرب العالمية

وعلى الرغم من موت أبيها وأمها وفقدان ساقيها، إلا أنها كانت تركض خلف الفراشات بكرسيها المتحرك، وتزرع الازهار وتهتم بالمزرعة مع العم سيد الذي رباها بعد موت والديها.

كانت حسنى تجمع بين عظمة السماء ونقاء النهر وعذوبته وكبرياء وشموخ التلال المحيطة بها؛

***

صباح بصوت فيروز: لا انت حبيبي ولا ربينا سوا

زينب: ألا تملين من تلك الاغنية أبدًا يا ليلى؟

لم انتبه لها إلا بعد المرة الثالثة التي كررت بها جملتها

سحر اندماج فيروز والقهوة وبالأخص تلك الاغنية هم فقط من ينسوني من أكون.

- لا يا زينب لا ولن أملّ منها

كيف أملّ من تلك الذكرى الوحيدة التي احتفظ بها لأمي على الرغم من كل ما تحويه من ألم لا أعلم هل شفاه الموت حتى أم لا!

إنها المرة الألف التي ألعن فيها سقوطي داخلي.

كم مرة تمر بنا فرص نظن أنها ستغير حياتنا ومن ثم تتلاشى أمامنا ويتساهل من حولنا مع الأمر بجمله ساذجة: اعتبريها لم توجد.

كيف؟ وإلى متى؟

إلى متى سأظل أقاوم خيبات الأمل وضياع الفرص والوحدة والفقدان وكأني أنا اللعنة؟

أجل، ربما أنا لعنتي لا غير!

كان يعشق كل ما اكتبه وينتظرني بلهفة، كان يقرأ حتى جملي البلهاء ومذكراتي الخفية ويشجعني في أن أكون ما أريد دون النظر لرأي أحدهم، كانت لهفته في سماعي ورؤية ما كتبته تعيدني أزهر من جديد، كان صديقًا يساوي الحياة.

"ضياء الدين"

أتذكر عباراته المشجعة وخلافتنا، في كل مره تشاجرنا وجدت طباعه تارة تمثلني عندما كنت في مرحلته العمرية فقد كنت أكبره سنًا، وتارة كان يبدو لي كشخص لم أعرفه، طباعه الغريبة جعلت منه مميزًا على الأقل في عالمي، اليوم يتظاهر كل منّا أنه لا يعرف الآخر، بل حتى لا أعرف ما حاله الان، أو ما إذا كان على قيد الحياة أم لا!

هل تلك سنة الحياة حقًا؟

أن نمر بأشخاص نزهر بهم ثم نعود إلى أرضنا القاحلة بدونهم؟

أو حتى إلى ارضنا التي أزهرت بفضلهم!

لا أجد سببًا لابتعاده سوى عدم توافق شخصياتنا وعدم فهم كل منا للآخر؛

يومًا ما قالت لي حُسْنَى: أتعلمين يا ليلى لما يصر مرضى السرطان على الشفاء؟

لماذا حتى انا أصر على تجاوز مرضي والمضي والبهجة رغم أني عاجزة؟

لان ما تفقدك إياه الحياة عمدًا، تأبى نفسك الاستسلام لتركه!

تدخل في حرب مع الحياة لاسترداده، ولا نعرف قيمة الاشياء سوى بفقدانها.

هل لهذا أنا مصرة على عدم فقدان ذاكرتي رغم أن الحياة سلبت مني كل من كونوها!

اتذكر صديقتي في المرحلة الابتدائية، اتذكر يوم دخولها المفاجئ وإصرارها على الجلوس بجانبي بلغة عين تقول لي: هذا ليس من شأنك حتى لو اضطررت لخوض حرب معك سأقتحم حياتك، ولا أعلم كيف استسلمت لها.

لم تكن تترك لي المجال لأرى غيرها حتى، اتذكر إلى الآن كيف كانت تجمع دموعها في عينيها ومن ثم تخلع نظارتها لتنفجر بالبكاء في مشهد

لم أكن أستطيع حبس ضحكاتي حين رؤيته، فتنهال عليّ بالضرب ونركض سويًا لينتهي كل شيء بضحكاتنا العالية، اتذكر يوم أن تعاهدنا على أنه مهما بلغت مشاجراتنا عنان السماء ألا يرجع كل منا إلى منزله إلا مبتسمًا؛

هل كنا نشعر وقتها أن الفراق سيداهمنا يومًا؟

أريد الآن أن أصرخ لأخبر حُسْنَى أن ما قالته غير صحيح فقد سلب السفر مني صديقتي والمرض سلبها حتى هي نفسها؛

أخبريني يا حُسْنَى هل من سبيل لإعادة كل شيء إلى حاله؟

العاشرة ليلًا، مساء يوم السبت، رن جرس الهاتف:

وجدتها تتكلم بصوت باكي:

لن أذهب للمدرسة غدًا، أجبتها: حسنًا، اعتدنا أن نتغيب معًا، لن أذهب ما دمتي لن تذهبي.

شهقات متقطعة من جهتها: لا اذهبي أنتي، أنا لن أذهب ابدًا!

لماذا؟

جهز لي والدي أوراق السفر، سأذهب بعيدًا معه، لا أعلم متي سأعود، لا أتذكر إلى الآن اجابتي عليها، كل ما أتذكره غصة قلبي والألم الذي اجتاحني ودموعي التي لم تسطع المقاومة.

ماذا كان بيداي وقتها أن أفعله وأنا طفلة في الثانية عشر من عمرها!

مرت عشر سنوات وما زلت أتذكر كل لحظة جمعتنا.

"إليكِ: يا من كنتي تثنين عليَّ صفة الإخلاص التي تكمن داخلي أود إخبارك أن بعض الاشياء قد نراها جميله وجيده الي حد ما ولكنها تكون في طياتها لعنة! أجل صفة الإخلاص التي كنتي تمجدينها داخلي لم تكن سوى لعنة يا سمية، ها أنا الآن أخلص لكونك أول صديقة اقتحمت عالمي وارضخ للغيرة الدائمة التي كنتي تحيطينني بها.

أتذكر صفاتك في كل من أقابل، أعانق طيفك في الخفاء كلما استطعت، أجدك في أحلامي فيتمنى داخلي أن ينفجر الهاتف كي لا استيقظ على صوته صباحًا، اليوم اعترف أن لوعة اشتياقي لكي تغلبت على لوعة اشتياق العشاق.

ولو سألني أحدهم يومًا عن كنزي المفقود، ستكونين أنتِ.

رسالتي لكي وأنا أسيرة قفص صداقتي الوردي ذاك: تعاهدنا على ألا ننسى أيًا من ذكرياتنا، تعاهدنا على التعايش، تعاهدنا على الوفاء، كوني كما تعاهدنا يا شفاء روحي، كوني دومًا بذلك النقاء الذي لطالما كنتي عليه عندما اقتحمتني، استسلم داخلي لنقائك وكنت أنا حينها مشوهة تمامًا، فما بالك بالعالم! حتمًا سيرضخ، أتمنى أن تكوني بخير."

أخبرني أحدهم يومًا أن أسوء فقدان على الإطلاق هو فقدان الاحتواء، وأن فرط الاحتياج له يجعلك تدمر نفسك ذاتيًا، لذلك من أدمنوا النيكوتين والكافين كان الاختيار بأيديهم وخارجًا عن سيطرتهم في آن واحد.

وأنا اكتب تلك العبارات تذكرت ذاك اليوم، لطالما أعجبت بالعقاد في نفيه لتعلق البومة بالشؤم والثلاثاء بالأحداث السيئة، لذلك قررت أن اقابله يوم الثلاثاء في ذاك المقهى، تطلب مزاجي ذاك اليوم الكافين والنيكوتين، ليدخل ويردف بقوله: لا أعرف لما يخشى الناس دهاء الثيب وأنا في كل مره يا ليلى اراكي عزباء بدهاء نساء الأرض جميعًا، صافحته بابتسامه شفقة: تبالغ بإعجابك لا أكثر، لا يدري أن لكل أنثى دهاء خاص وأن إشاعة دهاء الثيب مجرد خرافة، جلس كعادته متصفحًا بعينيه كل الناس بنظرات خاطفة، كان أكثر ما جذبني فيه اهتماماتنا المشتركة بلغة العيون وقراءه لغة الجسد، من ثم وقعت عينيه على مذكرتي فابتسم وهو يصرف نظره: لن اراها الآن، سأنتظر العدد الأول.

لطالما أخذت نقاشتنا منحنى الحدة، وعندما كان يقنعني بالإقلاع عن التدخين كنت أساومه بإيجاد علاقة تشبه علاقتي بذلك النيكوتين، هي تشتعل لأجلي وأنا أتضرر بها، فكان يتذمر بنبرة إشفاق وخوف، ومن ثم يوجه الحديث إلى حياتي وإلى الإحباط الذي أحاط بي، فأجيبه وكأن إجابتي كانت عن تحضير مسبق: أعد الموتى للحياة وسأعيد الأمل داخلي من جديد وأعيد كياني المفقود!

لا أتذكر يومًا أن أحدهم دخل معي نقاشًا مضادًا لسلبيتي الفكرية ونجح، وهذا لا يعني بكمال نظريتي وصحة تفكيري، ولكن لأني أعطي لكل مسألة كلا الوجهين وتبقى الحقيقة في معظم الأمور سلبية في النهاية.

كل الأعداد مقسومة على الصفر توحي إلى ما لا نهاية، كما توحي سنين الحياة التي مهما طالت دومًا إلى اللا شيء، لا أحتاج كلمات المحاولة والتشجيع ولا كلمات الدلال، لا أحتاج حتى إلى الدعم النفسي.

عندما أروي لأحدهم عن بعض ما حدث معي، أروي من أجل أن يتجنب خطأي وتبقى لعنة الزمن تصاحب من كانوا سببًا فيما وصلت إليه.

أما عني أنا: فقد اكتفيت.

في تلك المرات الكثيرة التي رأيت فيها حلمًا بأني أحمل طفلًا كنت أنهض بإحساس الأمومة والفقدان في آن واحد، وكنت أحتضن وسادتي وأهرب إلى ذلك الحلم مرة أخري، لأتذكر أنه مجرد حلم!

أجل، أن أعيش براحة بال وأمل وهدوء هو حلم ليس إلا!

السادسة صباحًا: كان هو المتصل، "قبل صباح الخير يجب أن أقابلك اليوم، وإن أتيح وقتك الآن فهيا بنا"

أنا بعدم استيعاب وصوت ناعس: حسنًا ساعة فقط وأفيق، نهضت لأجد في جدول مواعيدي ترتيبات أخرى، حادثته ليؤكد لي أنها خمسة عشر دقيقة لا غير.

أغلقت الخط بعدم تفهم ورعب وفضول.

أسوء ما قد يمر على الإنسان هي لحظة تجمع مشاعر مختلفة، ينتظر أن تتغلب إحداها على الأخرى، ليعرف الانسان تميز طريقه.

مرت حُسْنى بكرسيها المتحرك من أمام النافذة لتلقي التحية بابتسامتها تلك، نسيت أني استيقظت من الأساس، فطلة حُسْنى كانت عالمًا ساحرًا يخطفك ولا تريد أن تعود منه، ودعت أمي، آه على تلك الكلمة، لم أنطقها منذ زمن.

وأنا في الطريق تذكرت أني لم أخذ سماعة الأذن خاصتي وهو بالنسبة لي بداية يوم سيء، ولأخبركم أيضًا أن عدم انتظام الأيلينر والماسكرا الخاصين بي من المرة الأولي يغلق يومي من البداية بأكمله!

الساعة الخامسة، صباح الخير.

أي صباح؟ أنا أنام بشهقات وأستيقظ بعبرات متقطعة، حضرت قهوتي وأدرت السيكسفون وأشعلت سيجارتي، وبدأت أعيش مع نجاة الصغيرة وهي تقدم أعظم ابداعاتها: "وأنت تقول وتمشي وأنا أسهر منمشي".

لطالما كنت في أوقات حزني أستمع ما يخالف تلك الدوامة بالكلية، وقد يراني أحدهم عاشقة متيمة، وأنا أحاول فقط ردم الثقوب داخلي.

الثانية صباحًا استيقظ بشوق مترقبة رسائله.

كيف لا ونومي هو تفكير متواصل به، كان من المستحيل أن أترك ما اعتدت عليه، في امور للحياة الاعتيادية، لطالما كانت البدايات تحتلني وأسمى صفاتي في الإخلاص.

ظللت ممتنة لأول نوع قهوة ارتجفتها، ولأول حذاء ارتديته، لأول كل شيء اخترقني، فكيف لا اظل مدينة للقدر به!

وهو بدايتي، وحتى لو لم نتزوج سيكون نهايتي في كل الأحوال!

وجدته يلوح لي من بعيد، اقتربت منه ببطء لم يعتد عليه، فيومي قد بدأ ضبابيًا بالفعل منذ نسيت سماعات الاذن خاصتي، يقترب بنبرته المرحة كالعادة: ما بال منبع النيكوتين والكافين خاصتي، بدأت يومها بشحوب قاتل غير معتاد!

لأجيبه بتأفف: بسببك ربما!

بسببي أنا! حسنًا، لنصلح ذلك الخطأ بفنجان قهوة سريع وأخبرك عن سبب قدومك.

وبدأ حديثه: تحدثت معي صحيفة بريطانية، عن عمل بمسكن لمدة ثلاثة أشهر.

أشعلت سيجارتي وأنا أنظر له بكل حب وتشجيع، حسنًا إنها فرصة جيدة لا تفوتها.

كنت أعلم لماذا كان يعلو وجهه علامات الاستفهام وتلك الحيرة، أنا حتى لم أسال عن اسم الصحيفة أو المكان، لم اسال عن ميعاد رحلته ومعاد قدومه، وبرغم أني شخصية تهتم بالتفاصيل وتتغذى عليها، فكنت أريد دومًا أن ألفت انتباه الجميع أن ما جعلك تقول الحدث من البداية دون تفاصيله لا يعطيني الحق في أن أسال عن تفاصيله، فهذا يلغي لذة التفاصيل وجمالها، إن لم تكن عفويه فكل ما هو مطلوب ثقيل، أنهيت سيجارتي واستأذنته في أن أذهب لعملي، وانصرفت.

أعرف ما يقوله الآن وهو ما زال في مكانه هكذا: لن تتغيري أبدًا يا ليلى، ولن تكفي عن العبث بعقلي وقلبي.

ابتسمت بإنتصار، لأنه كان سببًا في أن أنسى سماعات الاذن خاصتي، عدت للمنزل أخذتها وأسرعت إلى عملي متأخرة خمس دقائق، حسنًا هذا يعد إنجازًا بعد بداية هذا اليوم.

مزيج روح الطفولة بطيف الأنوثة

وكبرياء جامح، وحلم غير مسبوق

وصمت أبلغ من آلاف العبارات!

كنت أنا، وتقبلني بذلك التناقض!

فكنت أبكي إذا اصطدم رأسه بباب الغرفة، أو شعرت في نبرة صوته بشيء غير مألوف، لذلك عندما رأتني إحدى صديقاتي بذلك الضعف والانهيار خوفًا من فقدانه، تعجبت وأصبحت تهاجمني بكبريائي، أصبحت تلوم رضوخي وحزني، أنا التي لم يكن لأي شخص مهما علا قدره أن يحدث معها فارقًا، خاصة إذا كان رجلًا، فكان كبريائي يتقدم عليهم جميعًا، والآن ها أنا أرتمي في أحضانه كطفلة تركض من العالم إليه كأنه حنان أمها المفقود، وتأوي إلى ذراعيه لتستنشق عطرهما بشغف كأن كل أرض دون أحضانه غربة لها، تلومه بنظرات متقطعة على أنه سبب لها ذاك الألم، فقد أخبرته مرارًا أن كل ألم يشعر هو به، تشعر بضعفه، ولكنها ما تزال طفلته وهو ما يزال شغفها في الحياة

وأول خطوات قلبها للحب، ومستقبلها الذي وإن كان مليء بالأشواك، هي لا تراه إلا مزهرًا بقربه، وعلى استعداد لأن ترويه بدمها لينمو.

عدت المنزل لأجد اليوم يكتمل بشجار معتاد بين أبي وأمي، صعدت لغرفتي وخلعت ملابسي وبدوت بهدوء لم أكن عليه من قبل ونزلت الدرج، وبدأت اعد طبق طعام لي، ولم أنظر إليهم حتى، انتبهوا لوجودي لثوان فخرج أبي وتسمرت أمي مكانها.

تكلمت: لا بأس اعتدت كل ذلك، والآن ستبكين وتتصلين بسوسن صديقتك لتقولي كل ما حدث فتقول لكي بأن عليك ألا تتركي حقك، وأن عليك تجربة عدم تحضير الطعام له ليومين على الأقل، ليعاملك جيدًا.

لتجيب هي بنبرة حزن مختنق بدون دمعة واحدة: لا لن أتصل بسوسن يا ليلى، لقد طلقني أباكي لأني علمت خيانته لي مع سوسن، وسيعود ليأخذ مقتنياته ويرحل ويبعث لي بورقه الطلاق مع عم سيد جارنا، وقع الطبق من يدي، وقفت أنظر إليها وهي تدير السيكسفون: لا انت حبيبي ولا ربينا سوا، قصتنا القديمة شلعها الهوا.

أيًا كان من يقرأ الآن، أعلموا زينب حقيقة حبي وألمي ومشاعري المختلطة تجاه تلك الاغنية، فهي كانت أكثر من يستغرب مني عندما أتوه فور سماعها، صعدت لغرفتي لأجد بريدًا عند النافذة لا ادري منذ متى وهو هُنا، فتحته لأجد تلك العبارات بخط منظم: يقول دستويفسكي:

"في الشارع الذي تقيمين فيه هناك تسع نساء أجمل منك، وسبع نساء أطول منك، وتسع نساء أقصر منك وأخرى تحبني أكثر مما تفعلين، وفي

العمل هناك امرأة تبتسم لي دائمًا، وأخرى تستحثني على الكلام، والنادلة في المطعم تضع لي العسل بدلاً من السكر في الشاي، ولكنني أحبك أنتِ"؛

أجل أحبكي يا ليلى، وأعلم أنكِ تعرفين.

وصلت بريطانيا، الهواء هنا ليس نقيًا كما عندنا، فلا تغضبي لعدم مجيئك، منذ الآن وأنا أشتاق لفنجان القهوة معك، واشتاق لشرارة عينيك، اشتاق لمزيج رائحة عطرك وسجائرك، أتمنى أن تنتهي الأشهر سريعًا، كوني بخير لأجلي.

بدون توقيع لأنك حتمًا تعلمين.

تنهدت وأنا أضم تلك العبارات، أهي بعض حبات المطر التي تخفف وقع الرياح الرملية، وأنا أتخيل بكر أمامي وهو يكتب تلك العبارات وابتسامته وشعره البني الذي يتطاير مع نسمات الهواء في هذا الصباح وخمنت أنه كان يرتدي قميصًا رماديًا وبنطالًا أسود.

تنهدت قليلًا، بعد أن تذكرت ما حدث منذ قليل، أعرف أن تلك التجربة لن تمر بسلام، سأبقى بدون أب وأم لمدة ليست بقصيرة، فأمي برغم تماسكها تتمزق من الداخل، وأما أبي، فما علمته دومًا أن الرجال يتجاوزون كل شيء بمرور الوقت، والاندماج في عملهم، ولكن هل سيتجاوز رائحة الذنب وطيفه يا ترى؟

ألن يصاب بالهلع من رؤيته لصورة أمي في إحدى كوابيسه، أو برعشة تسري في جسده بمجرد أن يذكر اسمها؟

الخيانة

ذاك المصطلح الذي لا ينطبق على العلاقات الثنائية فقط، خيانة أنفسنا هي من تدفعنا للخيانة الكبرى في العلاقات، أن تحمل نفسك ما لا تطيق، أن تجمع بين عدم الثقة والكتمان، وتضع نفسك في الجحيم بمليء إرادتك.

أن تتوه بين سطور حكايتك، يرتجف داخلك، ويظهر خارجك بشموخ، ترتجل الابتسامة، وتستقطع دقيقة من يومك كهدنة لنفسك، يفيق ما بداخلك للحظة، تسقط عبرة مسافرة بين الماضي والحاضر، تحاول تمرير ما حدث على أنه خيال، لتكمل!

لتكمل يومك فقط!

تُسْجَنُ في دوامة الزمن وتلاعبات جروح الماضي.

ثم ماذا؟

ما الذي سيبقي للإنسان؟

فقط ذاته، تلك التي تشوهت من كل ما مر.

كم كان من الصعب أن أؤمن أن الحياة مجرد محطات، البشر مجرد أعداد، حتى أنا !

من يهتمون بالحياة هل هم مرضي نفسيون؟

هل من الطبيعي اللامبالاة المفرطة التي أنا عليها؟

أصبح كل شيء بالنسبة لي اعتيادي، الوجع ذاته أصبح جزء مني.

خيانة الذات أدت بنا إلى دوامة خيانة العلاقات، اهتزازنا من الداخل مع عوامل التعرية الزمنية، مزيج الكتمان مع جروح الماضي، أنا هنا في ركن اللاشيء الآن أبحث عبثًا عما بقى من فتات روحي.

هل يجب أن أعطي الأمان لبكر، بعد أن سلبه مني أول من رأته عيناي ومن أستند عليه وألجأ له دومًا؟

إذا كان أبي بعد كل هذا العمر فعل ذلك بأمي، فماذا سيفعل بكر؟

الجروح تندمل بالوقت، والذكريات تمحى بدوامة الحياة لفترة وجيزة على الأقل، فهل فقدان الثقة والأمان يمحى بالوقت أيضًا؟

لم أجد ما أرسله لبكر سوى أني أخرجت الكاميرا التي قد أحضرها لي في عيد ميلادي السابق وصورت التلال وقت الغروب، وبعثتها له مع بعض أزهار الياسمين المفضلة لديه، دون أي جملة أو توقيع حتى، عدت للمنزل ووجدت أمي قد حزمت حقائبها، وأخبرتني أنها ستذهب لمنزل أختها.

ليلى: من؟ خالتي سعاد!

نعم يا ليلى سأذهب إلى خالتك سعاد في أستراليا غدًا صباحًا، أنا لا أتحمل المكوث هنا في الوقت الحالي.

ليلى: ألم تفكري بدراسة الماجستير التي أدرسها حاليًا، وبعملي وبالبيت، نحن في أكثر الاماكن هدوء في العالم حيث التلال والمزرعة!

والدتها: ليلى أنا لم أطلب منك القدوم، أنا من سيرحل.

ليلى: حسنًا، هو رحل وأنتِ ترحلين وأنا سأظل وحيدة!

لما أنجبتماني إذا كانت كل قرارتكما ستأخذونها بمفردكم؟

صعدت لغرفتي واغلقت الباب، ووضعت سماعات الأذن خاصتي، جلست بصحبة فيروز وأغاثا كريستي، التفكير لن يفيدني الآن، والبكاء لن يعيد ما حدث، حاولت فقط أن أخلق عالمًا مؤقتًا لي لعلي أواسي نفسي فيما بعد لأكمل طريقي.

المكوث في مكانك سهل للغاية، ولكن الندم بعده لا يعادله الجحيم حتى.

والخوض في طريقك شاق، ولكن حتى إن فشلت فستكون مرتاحًا من داخلك بأنك حاولت.

الحياة تجارب؛

لا يمكن أن أجذم أن الفلفل الحار سيسبب لي الحساسية كما سببها لصديقتي سوى بتجربته أولًا، هكذا الحياة، لا يمكن أن نحكم على التجارب إلا بعد أن نخوضها ومن ثم نقع في الخطأ فنتعلم ونصيب فننجح.

مضى عامان على تلك الذكرى، السادس من فبراير بعد ثلاثة أشهر من اقتحامه لعالمي كما كنت أعتقد، ولكن كنت بالنسبة له أنا من احتللت عالمه لأكون أنا من تمكث تلك المدة التي لم تحدث مع أي فتاة ممن سبقوني معه.

تحدث في ذلك اليوم بكبريائه الذي طالما سعيت لإرضاخه: "بدون مقدمات، أحببتك ولا أستطيع تصور الحياة من دونك وهذا كل شيء سأغلق الأن فلدي عمل"، دون حتى أن ينتظر ليأتي رد مني.

نظرت للهاتف في يدي بمزيج غضب مع خفقات قلبي الذي لم يهدأ، في النهاية أنا أيضًا كنت قد وقعت به، تحكمت بردة فعلي وبعثت له رساله برسمة قلب ولم أحاول الاتصال به، كنت أريد أن أذيقه كأس كبريائه ذاته، رغم غضبه من ردي، إلا أني أعرفه أكثر من نفسه، أراه الان يبتسم بخفة من ذكائي فهو يعلم أني أختلف عن الجميع، وقد اعترف لي فيما بعد بما حدث، مضت الأيام بين تحملي لغيابه حتى وصل حد الاعتياد، وبين كبريائه المعتاد، فظللت أعطي، وهو فقط إعتاد علي الأخذ، بدأت الأمور تنقلب، حتى تلك الدقائق التي كنت أحادثه بها بات يتهرب منها، في يوم ما طالبته بإلحاح كأني كشفت كل شيء حوله فأعلم عن يقين أنه يخفي شيء، بدأت بالكلام يومها: سأسمعك حتى النهاية ولكن لهذه المرة فقط، إن حاولت الهرب كالعادة، لن أمنعك، ولكن لن اعطيك فرصة بديلة.

كنت أعلم أنه يمتلك كبرياء قاتل، ولكني ايضًا كنت أعلم أنه لا يستطيع تحمل ذنب أحد لبقية حياته، خاصة أنا.

"الحقيقة مرة بالقدر الكافي الذي يجعلك تكره أنك جزء منها، وأنك لست من أبطال الخيال الذين يظهرون في الرسوم المتحركة، أو أن تكون جمادًا حتى، ولكنها تقطع الشك باليقين لتجعل الألم مؤقتًا بدلًا من الألم الدائم".

"وتبقي حقيقة الحياة الوحيدة وماهيتها القدر الذي هو سفينة بلا ربان، شراعها مهترئ، فلا تعلم هل سيرمي بك إلي بر الأمان، أم ستظل تائها في البحر وحدك، أم هل سيحنو عليك الموج فيقلبك في أحضانه بخفه، ثم يضعك على أحد الشواطئ لتبدأ قصة جديده".

انتظرته يومًا كاملًا حتي جاءت مكالمة هاتفيه منه: تحدث بصوت خافت علي غير عادته، صوت به حزن جلاد استيقظ ضميره بغير معاد مسبق أو إنذار وهو يقيم الحد على مظلوم، يرتعش بين يديه، ويتضرع له أن يشفق عليه ويرحمه: لا أعلم من أين أبدأ لأخبرك، ولكن أمي تلح علي في القدوم لخطبتك، وإلا فإن حادثتك مجددًا ستغضب علي، وأنا لا اريد خسارة أمي كما خسرت أبي، ولكن الان لا أستطيع، لدي الكثير من العقبات في عملي، لأرد بصوتي الذي حاول الإفلات جاهدًا من بين شهقات البكاء: حسنًا سأخبرها أنا ان تمهلك الوقت، فقط لا تخفي عني شيء، ليرد هو وكأنه يعطي الوقت عمله كمسكن للموقف فقط: حسنًا، سأذهب الأن، وداعًا؛

كنت أعلم أن تلك ليست بالحقيقة الكاملة، كنت أعلم أن ثمة شيء آخر يخفيه ولا يبوح به، ولكني كنت على علم أن الحقيقة كاملة في وقت واحد ستقتلني، يكفي الأن أن أعتاد غيابه، لأستعد لرحيله في أي وقت!؛

رحيل!

تلك الكلمة التي لم أضعها في حساباتي يومًا وأنا أفكر بكل ما ممرنا به سويًا، سيتركني الآن! رحيل الموتى أسهل من رحيل الأحياء، فالموت ليس بيد الانسان، لذا فليس فيه خذلان أو كره، ولكن رحيل الأحياء يحمل الكثير من الألم والخذلان، يدخلك إلى سجن نفسك، حيث الوحدة

ودوامة الذكريات التي لا تدري هل تختار الجيد منها فتصعب أمر الرحيل على نفسك أكثر! أم السيء فتظلم الطرف الآخر! ومن ثم عدم الثقة في كل من سيأتون، وإما أن تتخطى ما تمر به، أو أن تمر عليك الأحداث فتسحقك لتحولك إلى مجهول في حياة من العدم.

مر يومان هاتفته في الميعاد المعتاد، ولكن هذه المرة لا يجيب!

انتظرته يوم! يومان!

هاتفت والدته فلم تجب أيضًا!

لا أعلم ماذا فعلت حتى ليعاملني هكذا!، لجأت للمهدئ كوسيلة لمرور الوقت، سألت الجميع عنه، إلى أن ألهمني عقلي بإعادة النظر في كل برامج السوشيال ميديا (التي كان قد منعني منها مسبقًا)، حتى وجدته ينشر صور له مع أصدقائه، وكأني لم أكن هامشًا في حياته حتى!

من ثم وجدت نفسي أكتب له بتلقائية: لا أريد أن أعلم لماذا فعلت ذلك؟ ولكني سأظل أدعو بأن تراني بوجه كل فتاة تصادفها، حتى لا يتثنى لك أن تنسي ذنبك مطلقا.

ربما كان تكفير بعض أخطائنا التي حدثت سهوًا، هو ذلك الاختبار الذي يعادل الجحيم في قسوته، لأنه يجمع بين قرارنا وبين حكم القدر في وقت واحد!

أنهيت القصة بعبارة واحده على أحد الجدران: "من منا يستطيع رسم صورة للنهاية، كانت البداية كالجنة، وهل للجنة نهاية"!

مضت الأيام علي كالطاحونة، لم أكن أجد الوقت في التفكير، أنا التي لم تعد تجد الوقت لتأكل أو للنوم حتى، ستة أشهر أتخطي غياب أبي الذي لم يراسلني منذ رحيله، وأتجاوز نحيب أمي في الهاتف كل ليلة لأسامحها على تركها لي وحيدة وإلحاحها على أن ترسل تذكرة لأسافر وأعيش معها، ومع حججي المستمرة في الرفض وإنهاء المكالمة بأسرع وقت، ورسائل بكر التي اعتدت أن أتسلمها يومي السبت والثلاثاء، مع باقة الزهور ومحاولته في كتابة بعض الكلمات المنسقة لتبدو كقصيدة، مما يجعلني أبتسم بعفوية طفلة في السابعة من عمرها، "التفكير في أن أحدهم يحاول من أجلك، كفيلة لجعلك تبتسم دوما دون سبب".

لا يلبث أن يمضي الوقت ثم أتألم بصمت قاتل وأنا أتذكر تحدث رقبتي السابقة تلك، وأتساءل: هل سأستطيع أن أعطيه أي مقابل؟

أنا أعلم أن من يحب لا ينتظر مقابل، ولكن أعلم أيضًا أن الحب تبادل في كل شيء، تبادل حتى في الثقة والتفاهم ودرجات الاهتمام، وبدون التبادل تغرق سفينة الحب بلا أمل في العودة، ولكني الآن حطام في قاع المحيط، كسفينة تراثية، بين أن أبقى محتفظة بما تبقي مني وبتلك الذكريات اللعينة، وإن كنت أعلم أني سأنتهي وأتلاشى بمرور الزمن وسأبقي وحيدة الظلام الدامس، وبين أن أسمح لأحدهم بانتشالي وإعادة تصنيع هيكلي الخارجي! فحتى الجماد بعد أن يبلى يظل هناك جزء بداخله لا يمكن إصلاحه.

عندما نقع في الحب ننسي أن كل وقوع مؤلم".

كنت أشتاق إليك.

لطالما تذوقت مرارة الفقدان في حياتي مرارًا وتكرارًا.

لكن معك كانت كأنها القاضية.

حتمًا هناك تجربه في كل شيء تحدث فارقًا.

أما اليوم اعتدت بكل جوارحي على فراقك.

حتى أني اعتدت أن أعاند همسات صوتك الصباحية لأخبرها بأنها مجرد أوهام فترحل.

وأما طيفك فبات ظهوره عبثًا لا معنى له.

صرت معتادة عليه ومن فرط اعتيادي نسيت وجوده.

أجل الاعتياد.

اعتدت على بعدك إلى ما لا نهاية كما رسمنا حياتنا معًا إلى ما لا نهاية.

أصبحت أستطيع الآن الجزم بنظرية أن الحب مجرد اعتياد.

وبمجرد الاعتياد على ألم الفراق نجد الحياة.

وما الحياة سوى فراق ودفتر ذكريات بالي وهمسات أصوات وأطياف متناثرة.

أخبرك بشيء؟

لقد قررت أن أبني حياتي كلها على الاعتياد ومرور اليوم بما هو معتاد وموجود فيه لا أكثر.

وأنت ما عدت في يومي، لذلك أنت الان لا شيء!

كتبتها في مذكراتي واغلقتها، لأجاري نظرية الأطباء النفسين في "أن كل ما نكتبه من سلبيات داخلنا أو ما نريد تجاوزه، ننساه ونتجاوزه مع مرور الوقت".

الساعة الخامسة مساءًا، عدت في ميعادي المعتاد وبدأت بتحضير الطعام، جرس الباب!

أبي!، ليلى، هل أمك هنا؟

حاولت كبح دمعاتي: ليست هنا، ولكن هل تذكرت أن لك ابنة الآن!

ليلى أرجوك، أنا أفهم شعورك، ولكن فقط أردت التحدث معك، هنا فقط نسيت قوانين النضج، بدون تفكير صرخت كالأطفال بكل ما أوتيت من قوة: لم أعد أريد رؤيتك، اعتدت على الوحدة، أنا سعيدة هكذا، ثم صعدت واستلقيت على السرير أفكر، هل ما فعلته كان صوابًا حقًا؟ هل كان يجب عليَّ أن أستمع له؟

أنا أعلم أني سأضعف أمامه، في النهاية هو أبي، كنت أعلم أن ذكرياتي معه كفيله أن تجعلني أبكي بين ذراعيه كطفلة لم تكمل العام بعد، وقتها هل كنت سأسامحه!

هل ستكفي جميع جمل الاعتذار في العالم أن تمحو ما فعله!

"قرأت يومًا أن التسامح يكون لصالح صاحب الحق، فهو يريحه من عناء تحمل التفكير، ومن هم التخطيط للانتقام، يجعل المتسامح كأنه ولد من جديد".

نتيجة لما حدث نمت وأنا أتمنى أن كل ما حدث كابوس ليس إلا، كنت أفكر بحياتي القديمة فقط، استيقظت وأنا أفكر بجدية أن أذهب لبيت الشجرة الذي كنت ألهو بداخله قديمًا.

وكأن الحياة عندما كنا صغارًا وتمنينا أن نكبر أخذت تلك الأمنية على محمل الجد أكثر من اللازم، جرت الأيام بسرعة أكثر من المتوقع، كبرنا فجأة! وها نحن نريد العودة فقط من جديد.

بدأت أفكر في كل مشاعر الدنيا بتلك الصورة، هل عندما نحب سنتمنى لو نعود لوحدتنا! هل عندما يسرق منا الزمن الأيام كالمعتاد ونتزوج سنتمنى أيضًا وقتنا القديم! ولكن كلها اختيارات لا يمكن الرجوع فيها، كلها تعتمد على الحظ!

أو المصادفة ربما!

لماذا كان الإيمان بالحظ محرمًا؟ هل لأن القدر له وجه آخر غير ذلك؟

حقًا القدر لعبة لا تنتهي، ثم ماذا!

هل بعد الوحدة والفقدان والخذلان ما هو أسوأ من ذلك؟

استيقظت على رسالة من بكر: أنا قادم اليوم، اتمنى أنك لم تنس معادنا، متشوق لرؤيتك.

يا إلهي كيف نسيت، بكر!

حاولت ان أفيق وأنسى كابوس أبي المفاجئ، غيرت ملابسي وأعدت قهوتي، وذهبت للقائه، ذهبت وأنا لا أعلم ما سيجري، لا أعلم هل سيكتب لتلك العلاقة أن تكمل أم ستنتهي؟

علاقة!

من الأساس ما معنى تلك الكلمة، هل نعرف حقًا معناها؟ أم أنه مسمى نطلقه لكثرة استماعنا له، هل العلاقة تعتمد على الروح فقط؟

أم مسمي العلاقة الروحية هو المتعلق بها!

من نقابلهم مصادفة، هل هم مندرجون أسفل تلك الكلمة؟

كعادتي أدخلني تفكيري عميقًا: متى أطلق عليَّ أنا وبكر مسمي علاقة! هل كان ارتباط أمي وأبي يسمى علاقة؟ أم زواج فقط! وهل العلاقة من السهل أن تُمحى لمجرد وجود البديل أو لخلاف حتى وإن كبر حجمه؟

كيف ستمضي الأيام القادمة بيني وبين بكر؟

العلاقة هي ثاني أسمى وأعظم المعاني بعد الحب، هي أكبر حتى من أن نطلقها على الزواج، فالزواج تقليد اجتماعي، إن كان ممزوجًا بالحب عندها تكون علاقة، وسبق أن علمت معني الحب.

لم يكن زواج أمي بأبي علاقة حتى، هو قد تركها بمجرد البديل، لم يتمسك بها، العلاقة هي قرار محتم بالتمسك، قرار روحي سامي، يعلو عن كل المعتقدات والتعريفات والمفاهيم المنتشرة حتى الزواج، مصطلح عام يندرج تحته شعور الألفة تجاه أصدقاء العمل والاصدقاء الشخصين.

هل هذا يعني أني لم ادخل علاقة في حياتي؟

كل من كانوا حولي رحلوا، أنا هنا وحدي الان!

هل كان العيب فيّ أنا؟

هل إن اعطيت بكر فرصه ستكون علاقة وقتها! هل أجعله يُقَسِمُ قسم العلاقة؟ ما هذا الهراء، الأرواح لا يوجد لها قسم، إنه أمر من الداخل لا أكثر، يا الله هل سأبقي في تلك المعاناة كثيرًا، كيف لي أن أعرف هل ستنجح تلك العلاقة أم لا؟

هل للروح علامات تعرف بها، غير شعور الراحة السطحي!

ذهبت للقاء بكر بعد غياب طال، كعادتي آخر ما أهتم به هو مظهري، ما نفع المظهر إذا كانت الروح غير متزنة.

ألا يمكن أن يكون هؤلاء الاشخاص الذين لا يمتلكون فن تنسيق الألوان، وعدم الاهتمام بالمظهر الخارجي، يحاولون أن يعكسوا لنا صورة مصغرة عن تلك الحرب التي بداخلهم لا أكثر!

ولكن كعادة البشر يحكمون بالشكل الخارجي على كل شيء، وكعادتي كنت أقف بعيدًا أراقب وأترقب، لا أدري هل كل الذين يمتلكون موهبة الكتابة يمتلكون دومًا صوت العقل الذي لا يهدأ، يتأملون أدق التفاصيل، ويحللون أتفه المواقف، الكتابة نعمة ولعنة في آن واحد، كما تنعم عليك بتفريغ ما بداخلك، تصيبك لعنتها بالتفكير المستمر، أنت لا تعلم ما قصة ذاك، وما سبب بكاء هذا، وما الذي أدى الي تصرف ذاك، ولكن بالرغم من ذلك صوت عقلك التحليلي لا يكف عن مناداتك،

فجأة لمعت عيني بدهشة وحسرة في آن واحد، اختلاط المشاعر شيء مربك كمًا وكيفًا.

طفل لم يكمل التاسعة من عمره بعد، يحاول إشعال سيجارة في الخفاء!

ماذا رأيت في حياتك لتفعل ذلك، ألا تعلم أن التدخين لعنة؟

إنه كالسم، حالما تتذوقه ستصير عبدًا له، هل فعل ذلك فضولًا لأنه رأى أحدهم يفعل ذلك؟

هل يوصلنا الفضول إلى حد أن نقتل أنفسنا بذاك البطء بملء إرادتنا؟

كنت في حيرة بين أن أمنعه من ذلك فيندهش الناس من جرأتي وتدخلي، وبين مفاجأتي من جرأته برغم عمرة، وموعد وصول بكر!

كنت أنظر للساعة بدهشة، بتسمع صوته امامي:

ليلى، أنا هنا.

بكر! متى وصلت؟

بكر: منذ أن بدأ عقلك بالتفكير وأنتِ تُحَمْلِقِينَ وتتمعنين فيمن حولك بنظراتك كالعادة!

حملنا الحقائب في السيارة وركبنا، لأجد نفسي أخرج مذكرتي واكتب:

"إذا كان غياب الأشياء أو الأشخاص غياب حتميًا دون احتمالات أهون بكثير من وجود الاحتمالات، فما حال تلك الاشياء التي وجودوها يمثل

العدم، وتلك الارواح التي لا يساوي وجودها شيء وهي للأسف مكانها في الحياة كل شيء!

ما حال وغزة الصدر المفاجأة وما علاجها؟

هل من ماتوا حزنًا كانت تلك بداية أعراضهم؟

على الرغم من خوف الجميع من الموت المفاجئ، إلا أن الجميع يتمنى أن يختفي فجأة وللأبد، ما معني مصطلح تجديد الطاقة، وهل هو موجود من الأساس؟

"الطاقة لا تستحدث ولا تتجدد من العدم"

هل لهذا القانون علاقة بتجديد الطاقة، إذا كانت الطاقة لا تستحدث من عدم، كيف يجدد الانسان طاقته ليتحمل كل ذلك؟ هل من العدل أن تتحمل دائرة كهربائية وحدها شحنات الطاقة دون الأخرى؟

إذا كانت تلك القوانين في الجمادات، فما حال الأرواح؟

يقال إن طاقة الانسان تتجدد بتلقائية عندما يجد من يؤنس روحه، ويشاركه حياته، وهل من يؤنس الروح ذاك ليس لديه هموم ولا مطالب، ولا مشاركة في حزن يستنزف فيها جزء من طاقة ذاك الذي يحتاج تجديدًا لطاقته من الأساس؟

سألني بكر: ماذا تكتبين يا ليلى؟

انتبهت فجأة، ومن ثم سألته: هل تعرف الفرق بين التبادل والاستبدال يا بكر؟

فأجاب بالنفي، وكانت تلك المرة الأولي التي أسمح له برؤية مذكرتي ليقرأ مفهومي عنهم.

الاستبدال:

هل لقضية الاستبدال علاقة بقانون الجذب؟

في بعض الأوقات ما يلاحظ البشر قبل استبدالهم لشيء ما، تنتهي صلاحية ذاك الشيء بشكل مفاجئ قبل الاستبدال حتى!

هل الجماد حتى يدخل في قانون الجذب؟

وهل البشر لهم تاريخ صلاحية؟

القاعدة الموحدة هي أننا أرقام نمر على بعضنا واحد تلو الآخر، ولكن متي يطلق مصطلح الاستبدال أو انتهاء الصلاحية على شخص ما!

هناك بشر يجددون الطاقة، ومن يسلبونها منهم، من يفعل ذلك بمقابل، ومنهم من يفعل ذلك بدون مقابل.

حين اكتشافنا لذلك نطلق عليهم بشر منتهون الصلاحية، ينتهي وقتها عددهم في حياتنا.

التبادل:

لم أجد سوي أسئلة داخلي تحوم حول ذاك المصطلح:

هل التبادل في الجمادات فقط؟ أم في تلك الأشياء المعنوية وعلى رأسها مصطلح تجديد الطاقة!

في لقائنا الأول بعد غياب، بكر: أخرج هو صوره وأخذ يقلب فيها أمامي، وأنا أبتسم بعينين لا تحمل أي مشاعر، لم أكن موجودة في هذا الحدث ربما!

هل الوجود حقًا يعتمد على الجسد أم الروح؟ أو كلاهما؟ وأيهم أهم؟

نعلم جيدًا أن الدعم المعنوي يتفوق على أي شيء، لأننا نسمع كثيرًا عن أمراض نفسيه أدت إلى أمراض جسديه وليس العكس؛ إذًا هل الدعم المعنوي يكون بالروح، أم الجسد أم بكلاهما؟

ولهذا السبب صنف علماء النفس الأشخاص إلى أشخاص يحتاجون إلى أمور محسوسة بالجسد ليشعروا بالدعم، وأشخاص يكتفون بالدعم المعنوي فقط.

لذلك معنى الوجود لشخص ما يختلف من شخص لآخر.

كنت موجودة جسدًا لا روحًا، وكان بكر معنويًا، فشعر بأني غير موجودة من الأساس! كنت أرتشف قهوتي كأني أتذوقها للمرة الأولى، حتى سيجارتي كنت أتنفسها ببطء شديد، شعرت به ولكن لم أجد طاقة لأجادله، فجن جنونه مما يحدث، اعتاد على روحي المنطلقة، على تحرري وحيويتي، ما هذا التغير الجذري؟

إنه الكتمان! ربما الوحدة المفرطة!

لقد هلكت روحي بشكل مرعب، والآن إما ان أقرر من داخلي أن أكمل حياتي أو لا.

استيقظت في روتين معتاد.

قبل أن أذهب لعملي طرد بريدي!

من استراليا، إنه بإمضاء: خالتي سعاد، صحيح على ذكر خالتي سعاد، أمي لم تتصل منذ زمن!

فتحت الطرد، تعازي!

امي!

لا! مستحيل!

***

"نحن نبحث دومًا عن الاستثناء قبل دراسة القاعدة"

قرأت هذه الجملة ووقفت أتأملها وأنا أتذكر قصة لعلاقة بترت جذورها قبل أن تنمو من التربة، قصة تتعلق بكيفية سيطرة المعتقدات الداخلية على حياة الانسان حتى أنها تفتك به.

شاب قد قرأ ذات يوم جمله كانت تتردد في عقله:

"علاقات الحب لا تدوم، والصداقة لا تموت"، دونها عقله ما إن دق قلبه لإحداهن، استيقظت تلك العبارة بداخله، ليقرر أنه لا يريد أن يجازف بها مهما كان الثمن.

كي لا ينسى تلك العبارة كتبها بخط واضح وألصقها في أكثر مكان مرئي في الغرفة.

كان طالب في الفرقة الثالثة من كلية الفنون، وهي في الفرقة الثانية من كلية الحقوق.

في كل مرة تسأله كيف تتوافق عقليتنا بتلك الطريقة؟

يجيبها بمرح مختلط بجديه كأنه يتناقش مع أحد الأدباء: لأن الفن يا سيدتي حين يرتبط بالقانون يعطي تناغمًا لا مثيل له.

فيلتحمان في خفاء من هذا العالم ومن ثم يظهران للعلن على أن تكوينهما كان كذلك من الأساس.

لتضحك هي بعفويه وبراءة طفولة مفرطة من تعبيراته التي لطالما كانت تدهشها وتجذب انتباهها.

في كل شجار يحدث بينهما، اعتادت أن تحصل منه على ورقة بعبارة تصفها أو على رسمة أو على أي شيء وإن كان بالنسبة للعالم لا شيء، فكونه سعى لإرضائها كان بالنسبة لها كأن العالم داخلها يرقص فرحًا.

كانت دومًا ما تتعجب من كون هذه سنتهما الثانية معًا بذاك التآلف والاشتراك وتخطي الخلافات وهو لم يفصح عن مشاعره قط!

وبالنسبة لمجتمع شرقي بتقاليد متحفظة هو من عليه البدء، لا هي!

"بيد أني أرى أن المشاعر خلقت للإفصاح عنها بكل حريه فما الفائدة منها إذا اقتصرت على طرف أو جنس بعينه!"

كانت تخفي قلقها حيال ذاك الأمر لتستمتع بكل لحظه في الواقع.

وكان هو من جانبه يغار عليها من حبات الرمل التي تلامس قدمها على الأرجح ولكنه لا يفصح!

وبرغم تقابل أعينهما في كل مرة مع انتظارها له وهو لا يبادر بأي شيء، بدأ شيء ما يموت داخلها نتيجة ذلك الانتظار!

الانتظار:

هو كقرار الإعدام، حتى ولو بقي لك ثانية ليُنفذ القرار عليك قد تموت قبلها!

فالانتظار هو تآكل مفرط في الروح وخلايا الجسد والدماغ، هو تجسيد بطيء للموت.

وأما عن قتله للغيرة داخله!

فقد وَلَّدَ ذلك داخله نوعًا من خلل المشاعر والكلام، حاول السيطرة عليه ولكنه بدا في النهاية كالمجنون، يفعل ويقول كل شيء ونقيضه!

وكان البُعد لساعات قليله كفيلًا بتوليد فجوة زمنيه تحولت لفجوة في الروح لا تلبث إلا أن تعتاد على رياح التغير المفاجئ، ومع طاحونة الحياة يتغير كل شيء، ليجد كل منهما نفسه قد اعتاد غياب الآخر وبُعده، وهامش الأحداث دون لذة التفاصيل، ليأتي ليل شتاء بلسعات برد قاسي وذكريات تحولت لندم.

الندم:

هو سجن الحياة القاتل بين أصبح وكان، على ما فعلنا وما لم نفعل.

شيء لا ينسينا إياه الزمن حتى مع تكرار محاولاتنا في التعايش.

نعيش بوجع مدفون يتجدد بمجرد مرور الذكري داخلنا!

انتهي كل شيء بينهما في صمت.

كانت نظرات أعينهما بتلك الحسرة كفيلة لوصف كل شيء، منعه خوفه من خسارتها، ومنعها انتظاره ليبدأ!

والآن ها هما كل واحد يسلك طريقه وحيدًا شاردًا، ويقنع نفسه بأنه القدر وأنها الحياة.

أخذ كل منهم بالاستثناء السلبي قبل تجربة القاعدة وهي شرارة ولذة الحب، خرقوا قوانين التجربة بكل ما فيها لصالح حتمية رجحان السلبية، فكانت تلك النهاية.

وبماذا ستفوز حين تحاول إقناع نفسك بالشيء ونقيضه في آن واحد، سوى أنك ستخسر روحك في تلك المعركة!

إنها فوهة زمنية، بين كل نهاية وبداية جديده لشخص ما، أو للمواقف تنفجر تلك الفوهة بالذكريات، رأيت خيط نور كأنه ضوء شمس من بعيد، رأيت طفلة تمرح هناك بين التلال، إنها أنا!

وأبي وأمي، صوت ضحكات عالي، إنها تلك الذكريات التي لا تعود.

أفقت في المشفى، أهي النهاية؟

ما معني مصطلح النهاية من الأساس!

نقابل ذاك المصطلح بشكل يومي، بساعات لا حصر لها، نهاية الوقت، نهاية اليوم، دومًا نستمع إلى جملة لا بأس سينتهي كل ذلك قريبًا، النهاية هي مصطلح عام بشكل كبير.

ولكن لما هو مخيف بذاك الشكل؟

لأنه مصطلح فريد من نوعه، كما هو عام ومعتاد، فهو مصطلح مؤلم في خصوصيته، نهاية الأرواح، نهاية الذكريات، نهايتنا نحن حتى!

هل انتهت أمي حقًا؟

الذكرى وإن كانت مخلّدة فنعمة البشر النسيان، ولولا وجود أرواح بديلة لمات الناس حزنًا.

ألهذا خُلق البديل!

نبتعد عن تذكير أنفسنا بالبديل بكل قوتنا، ببساطة لأنه مهما كرهنا في قرارة أنفسنا ذاك المصطلح فهو موجود، وينطبق علينا، أجل نحن لنا البديل، وجودنا وإن كان مؤثرًا، سيُمحى بمجرد البديل، العجيب أننا رغم علمنا بذلك نسعى للكمال بشكل عجيب ونتمسك به، نكره كون الحياة تتأرجح بين المكسب والخسارة، نتجنب تذكر المصطلحات السلبية، ثم ماذا؟ مصيرنا التراب، وسيأتي من يأخذ مكاننا بنفس الكيفية.

لهذا السبب خلقنا الله جماعات يخلف بعضنا الآخر.

ما الحال لو كنا خلقنا بانفراد، لا مؤنس، لا ذكريات، لا بديل!

كنا سنتألم من الوحدة، ولكن لم يكن ليتألم أحد بعد موتنا.

هل الروح حقًا ستنسى ألم لحظه الموت؟

على كل، كلا الخيارين صعب، الموت لا يؤلم سوى الأحياء الذي يكملون بعدهم، وإن عشنا بمفردنا سنتألم إلى أن نموت من فرط الوحدة.

هل الفضول هو عامل مفيد أم أكثر ضررًا على أحلامنا من مجرد الواقع؟

الفضول لمعرفة الحقيقة، هل يعتبر ميزة أم عيبًا؟ وهل إن روادنا فضول لمعرفة حقيقة الموت بعد خطأ!

دفنت أمي، وبدأت أسير بتخبط تام لم أكن أستوعب بعد حقيقة الفقدان، رأيت أبي، كان يجتمع في عينيه الندم والألم، وددت لو تجتمع لدي قدرة العالم لأصرخ به، هو كان جزء من أهم العوامل التي أدت إلى موتها، وتفكك الأسرة كاملة، هل كنت نفسي ببعدي عنها أنا أيضًا إحدى تلك العوامل؟ هل كان استماعي لصوت نفسي وبركان الغضب الذي كان داخلي هو إحدى العوامل أيضًا!

أخذت أهمهم بصوت خافت بدأ يعلو تدريجيًا إنه القدر ليس إلا، أجل إنه القدر!

بعد مرارة الفقدان ستعلم أن أسوء شعور في العالم هو أن تحرم من شيء لست على استعداد لتحرم منه، وأن الندم شعور لن يزول حتى ولو دارت عجلة الزمن بسرعة عجلة الحظ، شعور لن تنسيك إياه السنين! وأن الحياة تسلب منا معناها وتأخذ البشر واحدًا تلو والأخر.

الدنيا كانت من وجهة نظري وقتها، هي تركيبة من الحزن والندم والخوف وسوء الحظ ومأساة القدر وتقلبات الحياة التي لا تنتهي، على الرغم من أني ضحكت في الماضي، ودق قلبي يومًا من الفرح كما تألم من الحزن، وغفوت وأنا ابتسم يومًا من فرط السعادة، ولكن وقتها كأي نفس بشرية نسيت مصطلح الفرح، والمصادفة، والحب، والصداقة والحياة.

بعد أول فقدان لك، ستعشر أن الدنيا لا تساوي شيء، وأنها فقط عقارب من الدقائق تأتي وراء بعضها لا أكثر، إنه الاسبوع الثاني بعد وفاة أمي، لا تزال الأفكار تعبث بي، والعجيب في تكوين الانسان أن حبل أفكاره هو ذاته من بجعله أشبه بدمية متحركة، يتحكم به وبمزاجه! إنه موعد عملي وجدت 130 مكالمة من بكر!

أنا لا امتلك ردًا حتى على رسائل أبي لأجيب هاتفيًا على بكر.

كنت في محاولة للخروج من حقبة زمنية هي الأشد خطرًا، فإما أن أخرج بكامل قواي العقلية أو أن أفقد نفسي، كان كل ما يدور في عقلي وقتها أن العالم مجرد لعبة سخيفة، أرقام تليها أرقام، وأشخاص يرحلون، ويخلفون ورائهم دمارًا لآخرين، ثم ماذا؟

ذهبت لعملي وأنا لا أعرف وجهتي بعد، وإلى أين، كنت أشبه بآلة متحركة، أحاول الاستفادة من نفسي فقط!

بكر: إلى أين أنتِ ذاهبة بذاك الوجه؟

ليلى: إلى عملي بالتأكيد!

بكر: ليلى أنا أعلم أن كل ما سأقوله الآن ستعتبرينه لا شيء، مجرد حروف أبجدية عديمة الفائدة؛ ولكن الحياة خلقت كما الطرق في الأرض، مليئة بالعوائق، إذا استسلمت عند أول عائق فلا تستحقين أن تكملي!

هنا ستبدأ نقطة وقوفك، وغالبًا ما يطلق عليها الفلاسفة مصطلح البداية، لأنها بداية مرحلة جديدة، إما أن يفقد الانسان نفسه، أو أن يتحول لشخص قرر دفن ماضيه ويبدأ الحاضر، وليس الجميع مؤهلًا لهذا القرار، هناك من يعيشون الحاضر جسدًا بلا روح، وهو العجز، فمصطلح العجز ليس عامًا ولا مؤلمًا فقط، هو يُفَسَّر حسب نوع السيكولوجية الشخصية التي ستفسره، العجز في نقطة الوقوف، هو ثقبك الأسود الداخلي، سجن الماضي، والذكريات التي إما أن تدفنك أو تدفعك، خلل عاطفي يتحول تدريجيًا إلى نفسي ومن ثم جسدي، فتدافع المشاعر هو الشعور الأسوأ من المرض النفسي، شعرت من كلام بكر أنه مر بتجربة سابقة ويتكلم عن اقتناع تام، فإما أن أتخطى كل ذلك، أو أنه ليس لي الحق في الحياة، وتذكرت قول حُسْنَى "ما تسلبك اياه الحياه عمدًا، تأبى نفسك الرضوخ له"!

إذًا لماذا أخذ المنتحرون قرار الانتحار؟

هل ما سُلِبَ منهم كان بإرادتهم؟

أنا مؤمنة في قرارة نفسي أن الانتحار ليس اختيارًا ولا استسلامًا، هو مجموعة من المحاولات البائسة ممزوجة بسُمِ بعض البشر الغير صالحين للآدمية، نتج عنه الانتحار، وعلى عكس ما يراه بعض البشر، هو ليس قضية عامة أو منتشرة، هو كارثه أشبه بكوارث انقراض بعض

الحيوانات، واختلال توازن الحياة، كيف لا وهو لا يقرب للفطرة السليمة بصِله.

قررت أن أقطع فوهة الزمن، وأطلق العنان لنقطه التوقف لتأخذ مجراها مثل أي كائن تدب فيه الروح، له نقطة توقف يبدأ عندها من جديد، إما أن يسترجع نفسه سويًا، أو لا يجد نفسه مطلقًا!

ربما عتمة الأشياء ليست بلونها، بل كيف نراها!

كيف للصحراء أن تكون بذلك اللون المشع وهي أكثر الأماكن رعبًا؟

كما هو الحال مع بعض البشر، بعضهم يشع من الخارج فقط!

أدركت أن عليَّ أن أبكي وأصرخ وأعبر عن ذلك الألم وتلك التغيرات التي تحدث داخلي، كي أستطيع جمع نفسي من جديد، لم نخلق لنشع دومًا ولا لنكون طاقة إيجابية في كل وقت.

اليوم العاشر بعد موت أمي، الساعة التاسعة صباحًا ميعاد عملي.

عم سيد يطرق الباب!

ما الذي أتى به في هذا الوقت؟

فتحت الباب بتحفظ: عم سيد! خيراً؟

عم سيد: ما علمتني إياه الدنيا يا ليلى أنها لا تكتفي بكارثة واحدة، بل تجمع كل شيء مرة واحدة.

تكلمت بعدم استيعاب: لماذا تقول ذلك يا عم سيد؟

عم سيد: بدون إطالة يا ليلى: حُسْنَى في ذمة الله.

- بكر، بكر! هل أنت هُنا؟
- ماذا هناك يا أحمد؟
- ماذا هناك؟ لا شيء، أنت لست هنا فقط!

بكر وهو يخبئ المذكرة في حقيبته: أسف، شردت قليلًا.

أحمد: ما الذي تنهمك في قراءته كل يوم إلى هذا الحد يا بكر؟

بكر: مجرد أوراق قديمة لأبي، لا شيء.

كأني كنت أفتقد شيء لم يكن موجودًا من الاساس؟

كيف لكل شيء أن يختلف فجأة الي هذا الحد، كأن الدنيا انقلبت، لم أعد حتى أعرف من أنا؟

أمي وحُسْنَى!

وماذا أيضًا؟ أأبتعد عن بكر الآن، حتى لا أفقده هو أيضًا؟ هل أنا لعنة؟ كل من أحببتهم ذهبوا، هل الحل حقًا أن أبتعد عن بكر؟

لما بدا كل شيء أسود اللون بهذا الشكل، اتمني أن يرجع كل شيء كالمعتاد، كم أن المعتاد هذا شيء ليس بسيء، لا نعرف قيمة الأشياء إلا بعد اختفائها، حتى الشعور الخاوي، الشعور باللا شيء، قيمته لا تضاهي اليوم بالنسبة لي مع الألم الذي أنا فيه.

اليوم عزاء حسنى، وبالأمس أمي، وغدًا؟

ربما أنا!

يا ليتها تكون أنا!

ارتديت ملابسي وذهبت لأدفن حسنى كما دفنت أمي، هل حقًا حل تقلبات الدنيا أن نقتل الشعور داخلنا لنتعايش معها!

- أتراقبها كل يوم كما الحال معي؟
- أتحادثني أنا؟
- نعم أنت، أنا عمر أراقبها كل يوم كما تراقبها أنت الآن! بذلك الشغف ولمعة العينين تلك ذاتها، أتراها مع الأطفال كم هي ملاك وديع، كيف أمكنها أن تكون بيننا نحن البشر وهي بتلك البراءة!

أهذا ما تسأله لنفسك الان؟

رد الآخر بذهول: كيف علمت ذلك؟

أجابه عمر: قلت لك، لقد سبقتك بخطوات عديدة، ولكن إذا أردت نصيحتي، كل البشر من ذلك البعد يبدون كالملائكة، لا تحاول أن تتبعها أكثر من ذلك!

انتبهت لأدرك أنه لا وجود لأي أحد!

كان ذلك كل ما قصه عليَّ ذاك الغريب حين أتى بتلقائية مفرطه إليَّ وهو يقص ما سبق، ويسألني من أنتِ؟

ضحكت بتلقائية طفلة في أسبوعها الأول، وكأني تعلمت الضحك توًا، وأجبته: أنا الحياة يا سيدي!

وقبل أن أتركه لحيرته وقتًا أطول، أخرجت مذكرتي وقطعت منها ورقة كنت قد كتبتها صباح ذاك اليوم، وأخرجت من محفظتي بعض الصور وأعطيتها له.

الحياة:

وتبقى الذكريات جحيمًا لا يُقهر.

وأما صمت الكلمات وهدوء ما قبل العاصفة، فهو الأبلغ من كل ذلك.

يقرر القلم أن يخط حبره بدمي.

ولو فكرت في وصف ما بداخلي الآن.

لوجدت أني أصف رمادًا أو مومياء.

فكل شيء في وصفها مستحيلًا أو عبثيًا.

وهل بوصف الأموات يحيون!

هل لو كانت الكلمات ووصف الشعور هو الخلاص من كل شيء، لكنا هكذا الان؟

الكتمان أصعب من أن يوصف أو يفهم حتى.

وأنا شخصية جمعت بين الكتمان والكبرياء والضعف وروح الطفولة المفرطة والطيبة البلهاء.

هل لك أن تصفني الان بكل ذاك التناقض!

كيف تحكم على وأنت لم تعش حربي وأنا التي تحارب نفسها والعالم أجمع الآن!

أسمعت يومًا عن كبرياء أنثى صامت بطموح رجل وجموح ثور ومقاتله سمكة لقرش في أعماق محيط مظلم!

هل لك الآن أن تستخرجني مني أو تغير اي شيء؟

صورة لي قبل أن تنشب تلك الحرب.

وصورتان بمراحل مختلفة.

وأنا أدرك أنك الآن تحفظ شكلي الحالي جيدًا، الآن أنظر إلى كل ذلك وتمعن أكثر.

أتعرف آخر ما رأيت من صور كانت عند المصور قبل ساعات!

أرأيت جمال ابتسامتي وهدوء سمتي وجزء براءة الأطفال الذي تحويه عيناي؟

وأقسم لك الآن أنك ما أن رأيتني في تلك اللحظة دون الصورة شعرت بأني رماد وأن عيناي خالية من الحياة تمامًا، على الرغم من ضحكاتي العالية على ما رويته.

لم أجد أدق من ذلك لأصف لك معنى الحياة.

إنها ابتسامة ومن ثم جموح ومن ثم ركود قاتل

وأنى لك أن تعرف ميعاد أي منهم أو تحدد أي شيء

ولو وددت نصيحتي لأخبرتك بأن تكون كالطير يومًا مع الريح وأن لم يجد نفسه يومًا معها أعتكف في عشه.

كذا الأسماك مع موج البحر.

أسفه لإطالة ثرثرتي أيها الغريب.

كنت أود التحدث بتفاصيل أكثر، ولكني لم أعدت محاكاة أحد وأنا على تلك الحال.

ولن أجد من يفهمني.

على كل كامتنان مني لك أحتفظ بتلك الصور كتذكار، هل لك إلا تنساني!

لم أعلم لما وقتها طلبت منه ألا ينساني، ولكن أظن أنني وقتها تحدثت بروح الإنسانية المفرطة داخلي، فمن منا لا يريد أن يكون له داخل كل روح ذكرى مخلدة، إن لم يكن داخل كل مكان وعلى مر العصور جميعها.

لم يستمع ذلك الغريب لكلام عمر غير المرئي ذاك، فثرثرة العقل نستطيع إسكاتها بالانشغال بالتفكير من حدث لآخر، أما القلب يشغله شخص واحد فقط.

سيطر قلبه على حواسه بشكل مخيف، كان يتتبعني أكثر من نفسي.

كان يدون أماكني المفضلة، تواريخ الأيام التي ابتسم فيها كثيرًا، حتى أنه ميز رائحة عطري التي كانت تختلف من حين لآخر، يا إلهي ما كل هذا، أنا حقًا ذهلت!

فحتى أنا لم أحب نفسي هكذا يومًا!

حتى جاء ذلك اليوم وتعقبني رغم أنني أذكر أني ذهبت إلى ثلاثة أماكن مختلفة في هذا التاريخ قبل أن أذهب إلى ذلك المكان رآني أدخن وأنا أقرأ كتابًا لسحر قديم، وهنا تذكر قول عمر وتاه عقله بين صورتين لتجسيد الشيطان والملاك!

لأجده يبعث لي في اليوم التالي ظرفًا يحوي صوري التي تركتها معه، وتلك الورقة من مذكرتي وكل ما كتبه عني ودونه، وكأنه يتخلص مني وينزعني من داخله.

أخذت الظرف ووضعته في الخزانة وأغلقتها.

كنت كأي فتاه عشرينية تمضي ربيع شبابها، أحيي يومي بفيروز وقهوة، مع وضع لمستي الخاصة كليلى فأتنفس سيجارتي حتى تمتلئ رئتاي بالنيكوتين، بدلًا من عوامل تلك الحياة التي تسلبني الإرادة تدريجيًا.

أنظر للسماء بروحي ومن ثم أستسلم لاندماج الألحان مع جزيئات القهوة

اليوم قررت أن أقرأ عني!

عن كوني أنا وماذا أريد!

أنا لم أعلم بعد لماذا كان ذاك القرار المفاجئ، ربما ترك ذلك الغريب أثرًا؟

وقبل أن أدرك الإجابة، وجدت نفسي في تلك الارض المجهولة.

تبقت بعض الشجيرات تحمل قطرات الندى كدموع متجمدة.

أخذت أسير ببطء أتأمل كل التفاصيل لكني لم أندهش كنت أعلم أن عواقب تلك العاصفة ستكون حتمًا غير مرضية.

ذاك الجزء الذي رأيت فيه تلك الشجيرات كان جزء الطيبة ودموعه المتجمدة، وذاك الجزء المشتعل داخلي بين قلبي وعقلي، أعلم تمامًا أن نتاج ذاك الدمار سيسلبني روحي بالكامل.

لم أنتبه من شرودي إلا وعقب سيجارتي أحرق يدي.

وصوت ينادي: ليلى أما زلتي هنا؟

نظرت لساعة يدي بعفوية، ومن ثم قفزت من الكرسي وبدأت ألملم كل شيء في حقيبة يدي بعشوائية.

لا أنا لست هنا، أقصد أنني ذاهبة الآن.

وفي طرقات الحياة، لدى كل منّا جانب في عقله لا يعلمه سواه.

يراك البشر اجتماعيًا ومنطلقًا وجذابًا.

لِمَ يراك عقلك دومًا انطوائيًا عنه بتلك الطريقة ليصر على سجنك كل تلك المدة داخله؟

لماذا تصر الأفكار على القفز داخلك وأنت لا تمتلك قلمًا مثلًا؟

الإلهام والخيال، خفة الظل وحلاوة الروح.

كل منهم له ضريبة.

ما هي أقسى عقوبة لأي بشر؟

هو سجن عقله.

ولا أدري هو ضريبة أي منهم بالتحديد!

كان يخبرني دومًا أنني سبب نجاته، وأن صوتي هو دوائه.

كان يلجأ إلى حضني ليخبرني أنه ولأول مره يشعر أنه في حضرة انثى، عندما كان يناديني بأمي كان يتورد عالمي الأسود وأجد مشاعر الأمومة تنمو وكأني أنجبت حقًا!

كان كلما همس بتلك الحروف الأربع تعلن كل قطرة دماء داخلي وكل عضلة وخلية وعظمة أنها تكن الولاء والاحترام والمشاعر وتذعن لأوامره دون تردد، فقط ما إن استيقظ حتى يهمس عقلي باسمه وتمر صورته أمامي لابتسم وأشعر بطيفه يحتضنني فأسقط صريعة عشقه كل صباح وأذوب في أحضانه حتى أغفو كل ليله.

من أين أتى وأين كان ولماذا هو؟

وجدت عقلي لا يبالي وهو يبتسم بقوله: الحياة لا تحتوي على قواعد والوقت أسرع مما تظنين، هل ستفوتين لحظه طيران إلى عالم آخر من أجل إجابة كل تلك الأسئلة وتشتتين تفكيرك من ثم تكتأبين من جديد؟

لأجدني أوافقه الرأي باستسلام تام، فلأول مره يستسلم عقلي مع شارة قلبي ويوافقه الرأي، ولا أدري هل هو اشتياق لدفء الحب وشعور اللذة ذاك، أم هو استسلام لتلك الحالة البائسة التي كنت عليها.

وتساءلت هل العقل أيضًا يتغذى بطاقة الحب تلك وذلك الشعور الخفي، أم أن تلك المشاعر خاصة بالقلب فقط؟

وبعد أن خط قلمي تلك العبارات، وجدتني أرسم قلبًا، ووجدت نفسي أقفز من مكاني وأنا أضع سماعات أذني وأحضر كوب القهوة وأنا أحادثه!

هنا أستوقفني ذلك التغير المفاجئ في الشعور!

كيف لطاقة الأرواح أن تتبدل بذلك الشكل من السلبي لذلك الشعور المنطلق؟

حقًا أنا أحبه!

ولكن هل هذا الشعور فقط كافي للدلالة على أني أحبه؟

تناسيت كل شيء، وطردت كل تلك الأسئلة.

فقط أنا أحادثه الآن، كانت مكالمتنا تجمع بين رجل عاقل يتحدث عن جوانب الحياة من وجهة نظر فليسوف مخضرم، وامرأة تمتلك مقاليد حكم بلد ما وتحمل ثقل مشاكل الشعب على كتفيها، وبين طفل وطفله في سن السادسة، وبين عاشقين ينتظر الجميع حديثهما ليدونوا عشقهم مسطرًا في أحد دواوين الشعر، وبين لاعبين في أحد الأندية

الرياضية يتابعان عقود اللاعبين ومباريات دوري كؤوس العالم الأفريقية والأوربية!

كيف كنا كذلك؟

لا أعلم، كل ما أعلمه أن المكالمة كانت لا تزيد عن خمسة وثلاثون دقيقة أمر فيهم بين كل شعور وآخر وهو يتسرب داخلي ببطء ولذة وكأنه يخطوا فوق شرايين قلبي وشعيراتي الدموية ويختم أسمه عليهم، أستنشق رائحته في كل مكان حولي، وأرى طيفه يداعب وحدتي من وقت لآخر، وكأنه يقول لي في الخفاء: أنتِ ملكي أنا، ولكنه يطبقها فعليًا وهو يطوق روحي بين أضلعه بحضوره الدائم.

أذكر ذلك اليوم الذي كنت أعاني فيه من لعنة الروتين ودوامة الذكريات، وقررت أن أجلس في أول مكان جلسنا فيه أنا وهو سويًا، أخبرته صباحًا أني سأذهب وانتهت المكالمة، وصلت لذلك المكان، مرت ثلاثون دقيقة وجدته بجانبي تجمد الدم بعروقي لدقيقة!

كان هو لا يجيد الكلمات المنمقة ولا يمتلك لسانه عبارات الحب المؤثرة، ولكن جملته ذاك اليوم كانت أبلغ دواوين الشعر التي سمعتها في حياتي.

بدأ حديثه وهو يحدق بعيناي: سألت نفسي صباحًا كيف سأكمل يومي بعد أن حادثتني وانتي هكذا؟ وانتي بتلك الحالة حتى وإن لم تحكِ! نبرة صوتك أميزها جيدًا، فوجدت قلبي يقودوني إلى هنا.

وضعتني عباراته تلك في ثقب داخلي بين الحقيقة والخيال!

هل هو حقيقي حقًا ويجلس أمامي الآن وهو يقول ذلك؟

أم أنه شخص افتراضي صنعه خيالي ليخفف الصدمات التي مر بها؟

أشخاص معدودون هم من أخبرتهم عن ذلك السر في حياتي، وهو أنني منذ كنت في السابعة من عمري: أجد داخلي تفكيرًا بأن الأرواح المتآلفة تشعر ببعضها حتى ببعد المسافات!

كالأم التي تنهض في منتصف الليل تستشعر مرض ابنها مثلًا!

فكنت أنتظر عندما أبكي أن يشعر بي أحدهم ويأتي مسرعًا حتى وإن لم يرِ دمعاتي!

شعور خيالي لدرجة يصعب وصفها في ذلك العالم الذي نعيش فيه!

أليس كذلك؟

عندما جاء هو ونطق تلك العبارات، شعرت أنه كان داخلي منذ زمن وعرف ذلك السر فقرر أن يكون هو مارد فانوسي السحري ذلك اليوم ويلبي أمنيتي.

أخبرك شيئًا؟ إني لأرى العالم من خلالك، وكأن نظرية الكمال اكتملت في عقلي بين كفيك.

المعجزة حدث ينتهي بمرور الوقت والبشر مهما بلغت صفاتهم أعداد، فما وجدت من وصف لك سوى أنك ظل روحي الذي لا يفنى حتى وإن فني الجسد.

كتبتها مرتجلة أمامه كردًا لما فعله، لينظر تلك النظرة التي كانت سببًا في أن أسلمه حكم عرش قلبي من البداية.

ليقول: وماذا بعد؟ هل سأظل سجينك هكذا دومًا؟

لأجيبه بضحكة طفولية متحدية إياه: إلى الأبد، فأنت من أسرتني أولًا.

أين هو الآن؟

لا أعلم!

ولا أعلم حتى لماذا أكتب عنه الآن كل ذلك وكأنه ما زال موجودًا، بدأت أشك أنه وهم صنعه عقلي، من فرط غيابه!

بالرجوع للحديث عن بكر.

ها هو اليوم السادس الذي يحاول فيه ترتيب موعد لنخرج سويًا وأعتذر بأني لن أستطيع القدوم.

"أنا أهوي الانعزال، ولكني أخاف من أن أبقي وحيدة!"

أرسلتها له كاعتذار في جواب ورقي، ولكي يفهم شعوري بشكل أوضح، وضعتها في صندوق البريد السريع كانت الساعة تقترب من السادسة مساء، ومن ثم عدت للمنزل وأعددت الشاي وصعدت إلى غرفتي.

أنا مؤمنة تمامًا أن التقدم التكنولوجي ألغى لذة بساطة الماضي.

لذلك كنت دومًا سجينة عقود الجوابات الورقية وباقات الأزهار، والأفلام القديمة.

الساعة التاسعة مساء يوم الأربعاء الموافق 11/25

رن جرس المنزل، إنه طرد بريدي بالتأكيد من بكر ردًا على طردي الذي بعثت به منذ قليل.

ارتديت معطفي ونزلت الدرج فتحت الباب، لأجد بكر يدخل باقتحام وهو مرتدي زي ساعي البريد ويضع يده على فمي لأتسمر مكاني ويغلق الباب!

في أصعب المواقف التي مررت بها في حياتي، لم أصرخ ولم أبكِ، كنت دومًا أُصَنِّف من ضمن الاشخاص الذين يمرون بضعف التواصل بين عقلهم ومشاعرهم، كنت أشعر أن مشاعري تأتي تبعًا للحدث بفترة طويلة.

وقتها تسمرت مكاني لم أصرخ ولم أتكلم، دقيقة، الثانية، الثالثة!

تكلمت وقتها وأنا أغلق أزرار المعطف واحدًا تلو الآخر: جيد أنك أتيت، كوب الشاي خاصتي ما زال ساخنًا، سأصنع لك آخرًا لنحتسيه سويًا.

التفت له، وشعرت فجأة بضربة في رأسي، دوار ومن ثم عالم آخر.

رأيت في حلمي نصف قلبي الذي اختفى، رأيتني ممسكة بيديه ورأيت ابتسامته.

رأيتني وأنا أكتب له تلك الرسالة التي لم أرسلها جراء اختفاءه المفاجئ!

كَتَبْتُ له صباح يوم:

أخبرتك عن أصدقائي الافتراضين وعن كل علاقاتي الهامشية المزعومة، وعن كل الذين مرو قبلك فأرهقوا روحي.

وعن ألواني وأرقامي المفضلة، وعن قهوتي المسائية التي كنت تدرجها تحت قائمة عجائب الدنيا الثمانية.

واليوم أخبرك عني وأنا أنت!

فقد وجدت بعض روحي مني، ووجدتك أنت كلي.

كيف لا وأنت أول من علّم روحي الطيران.

أحببتك يا أغلى ما أمتلك وأعظم مخاوفي في الفقد.

لأتخيله يجيب كما أحببته دومًا.

يجيب على رسالتي وهو يبتسم ويضع يده أسفل ذقنه كالعادة: ومن يجاريكِ في انتقاء الكلمات، وانتي سيدة الكلمات الساحرة، صباح الخير لروحي، وكل يوم وانتي معي.

لم يكن كتب الرسالة وقتها أمامي لأصفه بذلك الوصف.

لم يجب من الأساس، ولكني أحفظ ملامحه وردة فعله وكلماته عن ظهر قلب، فكنت أرى طيفه أمامي وتخيلته يجيب عليها.

لكنه لم يتسلمها، ولم يظهر من يومها!

وكأن ذكرياتي تلك كانت عن طيف فعليًا لا مجرد كلمات!

بالحديث عن الأطياف، وجدت ذلك العالم الأسود يحيط بي ويا ليتني لم أستيقظ، وجدت نفسي في غرفتي، ولكن بحالة يرثى لها ووجدت ورقتين بجانبي على السرير، ملخص لما احتوتاه تلك الورقتين:

لطالما أحببتِ الورق ورائحته يا ليلى، وأحببتِ كل ما هو تراثي وقديم، كنت أراكي امرأة أربعينية ذات أصالة عميقة وانتماء حضاري، وكنتي ما تزالين شابة في العشرين، جمعتي من الأزمنة أجملها، وكأنكِ آلة زمنية خُلقت لتعبث بالقلوب وتأسرها.

لطالما استهوتني مذكراتكِ، أكلني الفضول لها يوما بعد يوم، ولم أكن أعلم أن عواقب الفضول وخيمة وقاسية إلى ذلك الحد، كنت آتي كل يوم قبل أن تذهبي للعمل وأتأكد من أنكِ نسيتي كالعادة إغلاق شرفة الغرفة الخاصة بوالدتك، لأنها كانت تحب فتحها صباحًا، لأقفز من خلالها واصعد وأقرأ مذكراتك، إلى أن رفضتي مقابلتي وكنت بالأمس قد قرأت عن حبيبك المجهول ذاك، فجن جنوني، وظننتك تخونيني وستضحين بي من أجله، من هو حتى يأخذك مني؟

أنا.. أنا فقط لم أستطع مقاومة أفكاري.

حتى حدث ما حدث وقرأت آخر ما كتبتي لأفهم أن كل ذلك كان في الماضي فقط وأني أسأت بكي الظن!

سامحيني يا ليلى!

سامحيني ربما ليست هي الكلمة المناسبة لما فعلته بكِ.

سحقًا كيف ستسامحينني وأنا تزوجتكِ رغمًا عنكِ؟

لقد كان وقع تلك الجملة على مسامعي أشد من وقع سوط جلاد رفع سوطه لعنان السماء وأنزله على المحكوم عليه.

لأنظر لنفسي وأنا أضع يداي على فمي لعل أنفاسي تخرج فتريحني مما هو قادم.

وجدت الورقة الأخرى عقد زواج، ووجدت في ظهر الرسالة، أنه سيرسل طردًا بريديًا كتب فيه نصف ممتلكاته لي، وقبل أن يصل الطرد لي سيغادر البلاد!

ألهذا السبب تزوجني؟

ليرحل!

هل كنت أستحق منه ما فعل؟

هل أحبني أم أحب امتلاكي؟

حب!

ما هذا الهراء يا ليلى، هل لو أحبكِ من الأساس كان سيفكر في أدنى أذى لكي حتى ولو بكلمة.

من أكبر سمات المحب الضعف، الضعف أمام من تحبه وخوفك على مشاعرة من مجرد كلمه تسبب له أذى، يعتبره البعض عيبًا، ولكن في الحقيقة من يعتبره عيبًا هو من يوجد لديه خلل في المشاعر.

فهو من أرقى علامات الحب وأعظمها.

نهضت من سريري بصعوبة بالغة وأنا أستند على كل شيء أقابله أمامي.

لا أستطيع البكاء ولا الصراخ، أمسكت بالهاتف ورميته أرضه ففقد حواسه مثلي تمامًا!

نزلت الدرج بصعوبة بالغة، وكأني كنت في اختبار لركبتي وأنا في الثمانين من العمر!

أعددت كوب قهوتي، وأنا أتذكر ذلك اليوم الذي رأيت فيه صورة لأسرة أبي الثانية وهو يبتسم في الصورة ناسيًا تمامًا أن له زوجة قد ماتت أو ابنة لم يسأل عنها منذ أشهر!

فشعرت بأن ضلوعي تنكسر داخلي وأن أكسجين الكوكب بأكمله لن ينقذني، فتحدثت إليه لأخبره، هو فقط من يستطيع انتشالي من كل ذلك، هو فقط من يستطيع إعادة الأمان لي، حتى بعد كل ما حدث، لأجده لا يجيب!

هل كان يقول لي:

يجب أن يحزن كل شخص خسرك يا ليلى، لا أن تحزني أنتِ، يجب أن يمر الجميع على ذكراكِ بحزن غير مسبوق، وبعبارات ندم قاسية، تجعلهم يتمنون وجود طيفك حتى بجوارهم ليعتذروا وتصفحي عنهم.

هل كان يقول لي ذلك لأنه كان سيبتعد فأصفح عنه عندما أتذكره وهو غائب بتلك العبارات!

لقد ابتسمت فقط لمجرد تذكري لكلماته، ولكني أحتاج وجوده الآن.

وجدت ورقة في أحد رفوف المكتبة كانت قد أوشكت على السقوط، فأخذت أتفحصها لأجدها من كتاباتي له.

أجدنا متآلفين بشكل غريب، ربما السر بيننا في تلك العبارات التي قفزت إلى عقلي منذ قليل:

أن تمتلك الحب فقط تجاه شخص واحد هو من أثقل الأشياء على القلب!

ستجد أن الرقي إلى أعلى مرحلة في الحب يكمن في الخلافات، فهي تحدث توازنا في زوايا القلب.

تجعل الشخص يأخذ حيزًا في كل ركن فيه.

فالقلب لا يؤمن بالكمال ويختل توازنه كما العقل تمامًا.

ولذلك فالمشاعر أكثر من أن تنحصر بين ضلوع القلب في الحب أو الكره فقط!

وهي وجهة نظري وقد تتأرجح بين الصواب والخطأ، ولكني اعتدت على مشاركة كل شيء معك، لذلك أرسلتها إليك.

أنا.. أنا أرسلتها ذلك اليوم حقًا، ولكن ساعي البريد أعادها إلى بعد أسبوع قال إن ذلك العنوان خاطئ، ولم يستلم الرسالة أحد!

يومها اضطررت لتصديق أكبر مستحيل في حياتي وأعظم الأشياء وقعًا على قلبي، حتى أن خيالي لم يكن لينسج ذلك يومًا ما، هو كونه طيفًا لم يوجد على أرض الواقع.

واليوم ها أنا وحدي أيضًا، الجدير بالذكر أنه أول يوم لي كزوجة بزوج هارب ولا أعلم حتى هل سيكون بداخلي بعد بضعة أيام طفل أم لا؟

لأول مرة أتمنى أن يكون هذا سجن خيالي الداخلي فقط وليس واقعًا!

قررت الذهاب للعمل، لن أمضي ما بقي من عمري أفكر هكذا، لعلي أجد حلًا!

ارتديت ملابسي في ساعة كاملة من شدة الألم الجسدي والنفسي الذي أعاني منه، وصلت لمكان العمل، وجدت الجميع يحدق بي وكأني كائن فضائي!

يا إلهي، لم يكن ينقصني سواهم.

توجهت إلي أمل لأسألها عما يحدث.

لا أحب التعامل معها، ولكن هي عصفورة الشركة، معها أخبار أولئك الموظفين الذين تقاعدوا وماتوا حتى.

ذهبت بخطوات واثقة: أمل، صباح الخير.

من فضلك هلا أخبرتني لما أعين الجميع تترصدني اليوم؟

لتجيب هي: هل تعانين من الزهايمر يا ليلي؟

لقد قدمتي استقالتكِ بالأمس عن طريق رسالة إلكترونية وطرد بريدي، والمدير اقسم أنه لو رأكي سيطوق عنقك، والجميع هنا منزعجون مما حدث، تعرفين السيد فتحي مدير الشركة، عندما يغضب، تلعن حبات الرمال وجودها من الأساس بسببه!

ومن ثم تأتين إلى هنا بقدميك وكأن شيء لم يحدث؟

وتسألينني الآن لماذا ينظرون إليكِ؟

وقتها فقط أدركت تمامًا أن أسوأ ما قد تصل إليه هو أن تسعى وتحارب وتكتشف في النهاية أنك تتمني الموت فقط!

كيف لشخص أن يحتمل وجود عبء التعب النفسي والحياة القاسية والعاطفة الفياضة في قلب واحد؟

كيف لك أن تتخيل كم من الألم عانى منه حتى في ذلك الشيء الوحيد الذي خُلِقَ جميلًا في تلك الحياة وهو الحب؟

هل لك أن تدرك حجم صراعه مع نفسه للبقاء وحجم الألم الذي تركه ذلك التشقق الداخلي؟

شخص يتألم كل يوم لأفكار رأسه وحتى لضخ الدم في جسده يوجد ألم!

هو يلوم اختياراته فيكره نفسه ويلعن الألم في الوقت ذاته!

أليس الموت هو حله الوحيد؟

على ماذا تلومون إذًا؟

كتبتها في مذكرتي لأفرغ تلك الطاقة السلبية داخلي.

خرجت من الشركة وأنا أودعها لآخر مرة، وتذكرت ذلك الرجل الذي بعث لي بصوري وكل ما دونه عني، لأجد نفسي أقرر أن أجمع شريط ذكرياتي كاملًا وأضعه هنا وأرحل، وبالفعل تركت كل ذكرياتي ورحلت.

قررت العودة حيث منزل الشجرة وطفولتي، تخيلت أمي وحُسْنَى، حقًا "يوم كنا سعداء"، لم تكن مجرد جملة للسخرية فها أنا اليوم أعيش كل حرف فيها.

الجريمة الكاملة!

ذلك المصطلح الذي جزم معظم رجال الشرطة والمتحرون أنه لا وجود له من الأساس، ففي كل جريمة يسقط من المجرم خيط يدل عليه!

هذا على الصعيد الملموس، ماذا عن ذلك المصطلح معنويًا؟

أولئك الذين كانوا سببًا لانتحار أحدهم، وفقدان أحدهم ثقته في نفسه، ودمار أجيال كاملة!

أليست تلك جريمة كاملة بدون دليل إدانة حتى؟

ففي النهاية سيلقي الجميع اللوم على ذلك الذي انتحر أو ذلك الذي أذى نفسه، دون النظر لمن تسبب في ذلك!

وصلت البيت ووجدت الطرد البريدي، هل يعتقد أني بحاجه لماله أو أنه عوضني هكذا؟

خرجت به لفناء المنزل دون أن أفتحه وأحرقته.

دخلت المنزل وصعدت لغرفتي وأنا أشعر أنه مر عليَّ قرن من الزمان بعد كل تلك الأحداث.

اليوم السبت الموافق 1/1، مر شهر ونصف أو شهران ربما، أصبحت أنسى بشكل لا يوصف، كنت فيما مضي اسعي لتطبيق نظرية النجم

المعلق الخاصة بالنسيان، هل حقًا إصراري على تطبيقها هو ما يجعلني أنسى؟

أصبحت أري ظل رجل غريب يحوم حول المنزل في الفترة الأخيرة، لم تعد لدي القدرة على العمل، لقد كنت أعيش طوال الشهرين الماضيين على ذاك المال القليل الذي يأتيني من عملي في مقالات الجريدة ومن عملي في المخبز مع زوجة العم سيد.

والآن لقد خارت قواي وهلكت تمامًا.

ليتني لم ألقاك!

كنت أسمع عن أولئك الذين يتمنون أن يلتقوا بمن يحبون في عالم آخر يسمح لهم بالبقاء معًا تحت أي ظرف.

ولكني حقًا عنيت كل حرف في تلك الجملة من قلبي "ليتني لم ألقاك!"

تهشمت ضلوعي، وعجزت نفسي قبل أن تكبر ملامحي فجأة لتوحي لمن ينظر إلى أنني عجوز تصارع شبابها ليبقى!

استهلكت كل طاقتي وتفكيري ووصلت إلى مرحلة لم أكن أتخيلني فيها قبل الثمانين من العمر!

يا ليت الزمن يعود إلى يوم عرفتك لأهرب من سهام حروفك التي أصابت عين قلبي فأعمت عين عقلي وجعلتني أتخبط بك.

يا ليت الوجع الذي أمر به الآن يُحكى، ويا ليت "الليت" تشفي ما أنا به!

يتحاكى الجميع بمجنون ليلى، وولادة وزيدون، وروميو وجولييت؛

ولم يُحْكَ يومًا عن امرأة ماتت بسم عشق واهي.

ألم يصل أحد إلى شعور أن تقدم لشخص آخر ما تبقي لك منك ثم تجد نفسك خاويًا ووحيدًا بلا طاقة لشرب جرعة ماء حتى!

تسقط داخلك ببطء وتخاف أن تحدث نفسك سرًا فتقتلك كلماتك!

أنا لا أهوى فقط!

حتى الهاون يمتلكون فرصة للنجاة بإدراك أحد لمساعدتهم.

أنا أهوى بصمت مميت، كأني قتلت بمسدس كاتم صوت.

حتى عَبَرَاتِي أبت الظهور للتعبير عن بشاعة الإحساس.

كنت فيما مضي أمتلك قوة الركض والنهوض والتشبث، اليوم أنا حتى لا أمتلك قوة منع نفسي من الإحساس بالهزيمة المميتة!

"ليتني قُتِلْت في صمت منذ زمن، ليتني لم ألقاك!"

كان هذا آخر ما كتبته ليلى بعد ان وجدها العم سيد صباح اليوم التالي وهي ملقاه على الأرض أمام الشرفة، ولا أدري هل يجب أن يكون لكل قصة نهاية؟

نحن ننهي القصص من وحي خيالنا، وننهي القصص الواقعية لرؤيتنا نهاية هؤلاء الأشخاص، ماذا لو كانت ليلى هي من تسطر حروف قصتها بنفسها؟

كيف لها أن تكتب نهايتها؟

أوصلها العم سيد للمستشفى وهناك اكتشفوا أنها فقدت ذاكرتها تمامًا، إثر جرعات كبيرة من المخدر والأقراص المنومة والضغط النفسي، ولم يكتشفوا من كان السبب، كالعادة سيتحفظ على القضية أو يعتبرها البعض هي من فعلت ذلك بنفسها لما تعرضت له، خاصة بعد الفحص الطبي الشامل، الذي كانت نتيجته أن الرحم ليس موجود من الأساس وأنها متزوجة!

صدمة العم سيد الذي اكتفي بالقول إنها جارته وكانت تعمل مع زوجته ولا يعلم أكثر من ذلك، فمن سيتحمل نتيجة قضية كهذه توضع تحت بند الشرف، والجميع يعلم أنها غير متزوجة!

كيف فقدت ذاكرتها ورحمها؟

من كان السبب؟ بقي يوم واحد لحكم المحكمة

دخلت الممرضة وليلى ما تزال تحدق بالشرفة: يا ليلى أرجوكِ يا ابنتي، تذكري أي شيء مما حدث لكي، سيضيع حقك هدرًا ويفلت من أضاع شبابك بفعلته، تذكري يا ليلى.

نظرت ليلى للممرضة وابتسمت بهدوء: من أنتِ يا خاله؟

هنا بكت الممرضة بنحيب، واقتربت منها لتأخذها إلى حديقة المشفى، قامت ليلى معها بكل وداعة تستند على كتفها لتجد الممرضة ورقة تقع من جيب ليلى!

الجزء الأخير من الورقة المفقودة:

اليوم الاثنين الموافق 12/15

بدأت أفقد ذكريات في عقلي بالكامل، حتى أمي لم أعد أتذكر وجهها، كلما شربت القهوة أشعر بمخدر يتسرب إلى شراييني.

أرى طيف رجل يحوم حول المنزل منذ مدة، اليوم فقط استطعت أن أميز رائحة عطره، ذاكرة الشم عندي أقوى مما يتخيل.

لا أستطيع أن أخبر أحدًا بما حدث، منذ يومين فقط عرفت أنى حامل وذهبت لأجري عملية اجهاض، حدث نزيف فاستأصلوا الرحم، وها أنا الآن أعيش آخر ذكرياتي.

أستطيع الجزم أنني في مثل هذا التاريخ الشهر المقبل سأكون بجانب أمي، ولن يعرف أحد السبب، سيعتقد الجميع أنني من فعلت ذلك بنفسي ويتم التحفظ على القضية.

أعلم أنك ستقرأ مذكراتي فلطالما أحببت ذلك وكان الفضول يقتلك إليها، أتعلم أنا أرجو أن يقرأها العالم، ولكن بعد موتي.

سيبقى طيفي يتبعك يا بكر، فالأجساد تفنى، ولكن الأرواح لا تفني، أتمنى أن يكون هناك سبب واقعي لما فعلته بي وألا تذهب حياتي هكذا.

الثلاثاء الموافق 1/6

حكمت المحكمة بما وجدته الممرضة: ميساء أحمد، في ملابس المجني عليها الفاقدة للذاكرة وغير مدركة للواقع: ليلى محسن.

مما تبين أنه بخط يديها، والبحث عن المادة المخدرة داخل منزلها في علبة القهوة كما ذكرت المجني عليها في مذكراتها.

وقد استدعت المحكمة: بكر راضي، وقد أعترف على نفسه، وحُكِم على الجاني: بكر راضي، بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة لمدة عشرين سنة، رفعت الجلسة.

ليلى يا ليلى، أنا ميساء سأدخل.

ليلى هل ما زلتي نائمة يا عزيزتي، لقد جاء حقك يا ليلى، وأخذ بكر حكم المؤبد.

ليلى انهضي، ليلى.

لييييل!

النهاية

تمر حياة البشر كما الأزهار، يخلقون من الأرض وينتمون إليها ويعودون إليها، ولكن دومًا هناك زهرة تأسرك بشكلها ورائحتها، تجعلك تقسم قسم الأبدية على ألا تنساها أبدًا.

هكذا كانت ليلى، فصار الجميع يردد حكايتها على أنها معجزة من معجزات الإصرار والتحدي، وصار السيد فتحي مدير الشركة يصرف مكافئة للموظفين تمجيدًا لروحها وتكفيرًا عن ذنبه لتقصيره معها.

وصار الجميع يقرأ مذكراتها ليخلد مصطلحاتها ويفكر في كل شيء قبل فعله مثلما كانت تفعل، وفي كل من حوله مثلما كانت ليلى.

وخلدت ليلي مقولة فرانز كافكا عندما قال: "الكاتب لا يُعرَف إلا بعد موته، فمعظم كتاباته سيقرأها الجميع بعد أن يرحِل".

تمت

طـــيـــــف لـــيــــلـىَ

صفية رسلان

إذا كنت تقرأ الآن فأعلم أنك داخلي!

سأجعلك تمر بشعور القوى الخارقة التي لطالما تمنيتها أنت، ستسمع أفكار البشر!

أغلق حواسك وتجرد من ذاتك، ستكون أنا وسترى العالم من خلالي!

فهل أنت مستعد؟

عن المؤلف

صفية رسلان، 26 عام، طالبة بالفرقة الرابعة كلية الدراسات الإسلامية والعربية شعبة شريعة إسلامية، مواليد محافظة الغربية.

صدر لها رواية "ومن ثم رحلوا" في عام 2021، ثم رواية "شخابيـط جــن" في عام 2022.

كما صدر لها رواية "لحن الإدمان وأمواج الرحيل" في عام 2024.

FaceBook: @safy.raslan.39